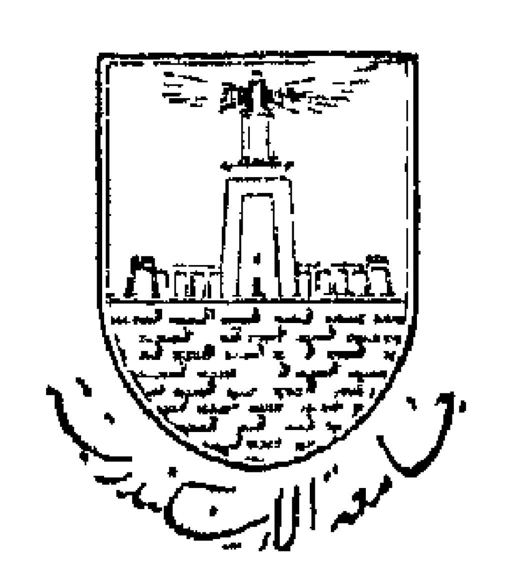


طرابلس الشام
تاريخها وآثارها فى العصر الاسلامى

للدكتور
السيد عبد العزيز سالم

مستخرج من مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية
العدد السادس عشر السنة ٦٢ - ١٩٦٣

مطبعة جامعة الاسكندرية
١٩٦٣

طرابلس الشام

تاريخها وآثارها فى العصر الاسلامى

للدكتور السيد عبد العزيز سالم

أتيحت لى فرصة زيارة مدينة طرابلس الشام ، فى الوقت الذى كنت فيه معارا بالجامعة بيروت العربية للعام الجامعى ١٩٦١ — ١٩٦٢ ، فبحثت عن تاريخ لهذه المدينة فلم أجد ، ثم زرت آثارها ، ولم يكن معى غير دليل صغير عن أهم معالمها ، وذهلت لكثرة الآثار الاسلامية التى تكتظ بها المدينة ، ووجدت نفسى منساقا الى الكتابة عن هذه الآثار ، فأعدت زيارتى لطرابلس مرة بعد مرة ، وأخيراً أقمت بالمدينة فترة من الزمن قمت خلالها بدراسة أهم آثارها الاسلامية . واتصلت فى أثناء هذه الفترة بالعالم الكبير الأمير موريس شهاب ، مدير الآثار بلبنان والأستاذ بالجامعة اللبنانية ، الذى أنتهز هذه الفرصة لأقدم له جزيل شكرى على ارشاداته وتوجيهاته ومعاونته الصادقة ..

تقع مدينة طرابلس الشام على منتصف الساحل الشرقى لحوض البحر الأبيض المتوسط تقريباً ، وتبعد عن مدينة بيروت عاصمة لبنان بنحو تسعين كيلو مترا ، ويحمى طرابلس من الرياح الجنوبية الغربية السائدة عدة جزر صخرية صغيرة ، تتوزع أمام رأس الميناء . وقد ساعد هذا الموقع الرائع لمدينة طرابلس ، بالاضافة الى امكانياتها الاقتصادية المتوفرة ، على ازدهار الحياة الاقتصادية فى المدينة ، وتقدمها تقدما محسوساً ، بحيث أصبحت مدينة طرابلس لهذا السبب تحق العاصمة الثانية للجمهورية اللبنانية .

وتتألف مدينة طرابلس من الناحية العمرانية من قسمين أساسيين : المدينة والميناء تفصل بينهما مساحات واسعة من الحدائق والبساتين . أما المدينة فتمتد على بعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً شرقى الميناء ، على ضفتى نهر قاديشا المعروف بنهر أبى على ، فى الموضع الذى يصل فيه هذا النهر الى السهل بعد أن يجتاز المنطقة المرتفعة من سفح جبل لبنان . ويقوم على الضفة اليسرى من هذا النهر نشز أو تل يشرف على مدينة طرابلس الرابضة أدناه، ويرتفع على هذا التل قلعة أثرية من أيام الصليبيين والمماليك تعرف اليوم بقلعة صنجيل نسبة الى منشئها ريموند دى سان جيل ، كونت دى تولوز ، الذى أقامها سنة ١١٠٣م أثناء حصاره لمدينة طرابلس القديمة المطلة على البحر ، وسماها قلعة الحجاج نسبة للتل الذى أطلق عليه فى ذلك العصر اسم تل الحجاج Mons Peregrinus (١) .

وأخذ العمران ينمو منذ ذلك التاريخ أدنى هذه القلعة مكونا مركزاً عمرانياً ، اختاره المنصور قلاوون لبناء مدينة طرابلس بعد أن هدم المدينة القديمة (الميناء) ، وقدر لهذه المدينة القلاوونية أن تصبح من أعظم مدن الشام فى عصر دولتى المماليك البحرية والشراكسة ، ومازالت هذه المدينة بآثارها الاسلامية العديدة من مدارس ومساجد وقباب وخانات وحمامات وأسواق تؤلف القسم الأعظم من طرابلس الحالية . ويمتد هذا القسم على جبل أبى سمراء (تل الحجاج) وعلى النشز الواقع شرقى نهر أبى على وهو المسمى بتلة القبة ، وعلى جانبى الطرق المؤدية الى بيروت جنوبا والى اللاذقية شمالا ، وفى السهل الفاصل بين طرابلس المدينة وطرابلس الميناء (٢) .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طرابلس .

فيليب حتى ، لبنان فى التاريخ ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة والدكتور نقولا زيادة ، بيروت ١٩٥٩ ص ٣٥٢

(٢) أنظر تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان منذ ١٥ نيسان حتى آخر آيار سنة ١٩٥٣

أما طرابلس المينا فتقع فى نهاية السهل الخصب الممتد من مدينة طرابلس « القلاوونية » الى الساحل والذى ينتهى بشبه جزيرة تحيط بها مياه البحر من الشمال والجنوب والغرب . وتكتمل منطقة الميناء المذكورة بأربع جزر صخرية أشرنا اليها فيما سبق ، وأهمها الجزيرة المعروفة عند أهل طرابلس بجزيرة الأرانب ، ويقصدونها بالسفن للتنزه ، وطرابلس المينا الحالية هى الموضع الذى كانت تقوم فيه مدينة طرابلس فى العصور القديمة الى أن أمر قلاوون بهدمها تماما سنة ١٢٨٩ م .

(أولا) تاريخ طرابلس فى العصر الاسلامى

تاريخ طرابلس القديم :

طرابلس الشام مدينة فينيقية الانشاء ، فقد أسسها الفينيقيون على امتداد الشاطىء الشمالى الشرقى لشبه جزيرة الميناء ، وأطلقوا عليها اسم «أثر» Athar. ولا نعرف تاريخ تأسيس « أثر » على وجه التحديد ، وكل ما نعرفه فى هذا السبيل أنها كانت تشتمل فى عصر السيادة الفارسية فى القرن الرابع ق. م . وبالذات فى سنة ٣٥٩ ق. م وهى السنة الأولى من عهد الملك ارتحشستا الثالث أوكوس Artaxerxes III Ochus (٣٥٩ ق . م — ٣٣٨ ق .م) من ثلاثة أحياء تمثل المدن الفينيقية الثلاثة : صور وصيدا وأرواد، فكانت تشتمل على حى للصوريين وحى للصيداويين وحى للارواديين ، أى أنها كانت مركزاً لاتحاد فينيقى يضم المدن الثلاثة المذكورة ، أو عاصمة لهذا الاتحاد الثلاثى . وكان يحيط بكل من أحياء « أثر » الثلاثة سور قائم بذاته (١) وكانت هذه المدينة باعتبارها عاصمة للاتحاد الفينيقى ، مقرا لاجتماع المؤتمر الفينيقى العام ، وهو مؤتمر سنوى كان يشترك فيه نحو ثلاثمائة عضو يمثلون المدن الفينيقية الثلاثة . وكان للتدخل المتواصل الذى يقوم به ارتحشستا فى شؤون هذا المؤتمر أثر كبير فى أشعال نيران الثورة فى « أثر » ضد السيادة الفارسية ، وبدأت هذه الثورة فى الحى الصيداوى من « أثر »

---

(١) Bruce Condé, Tripoli of Lebanon, Beirut, 1961, p. 9

سنة ٣٥١ ق . م ، ثم انتشرت من هذا القطاع الى مدينة صيدا نفسها ، ثم اجتاحت بعد ذلك الساحل الفينيقي كله ، وكان نتيجة لهذه الثورة أن تمكنت تسع مدن فينيقية من طرد ممثلي الفرس فيها وأعلنت بذلك استقلالها ، فاضطر ارتحشستا ازاء هذه الحركة الى الخروج من بابل على رأس جيش كثيف قوامه ٣٠٠ ألف من المشاه و٣٠ ألف من الفرسان ، قاصدا صيدا ، وتمكن من استرجاع المدينة ، بعد أن أبدى أهلها مقاومة شديدة واستبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم ، وكان انتقامه منهم هائلا ، اذ نقل سكانها الذين نجوا من الموت الى عاصمته بابل ، وأضرم النار فى أبنية المدينة . وخافت المدن الأخرى الثائرة أن تنتهى الى هذا المصير ، فاستسلمت للفرس بعد سقوط صيدا مباشرة (١) .

ثم رحبت « أثر » بالاسكندر المقدونى كمحرر لها من نير الفرس ، فاستسلمت لعساكره سنة ٣٣٣ ق .م شأنها فى ذلك شأن غيرها من مدن الساحل الفينيقى مثل ماراثوس ، وأرواد ، وجبيل ، وصيدا . أما صور فقد ظلت وحدها تقاوم جيوش الاسكندر حتى تمكن من فتحها سنة ٣٣٢ق.م بعد حصار بحرى وبرى دام نحو سبعة شهور ، وانتقم منها بأن تركها وراءه خرابا تلتهمه النيران .

ثم تمزقت امبراطرية الاسكندر بعد وفاته ، وكانت سورية من نصيب سلوقس الأول (٣١٢ — ٢٨٠ ق.م) الذى ضمها الى أملاكه سنة ٣١٢ ق . م واتخذ أنطاكية التى أسسها على الضفة اليسرى من نهر العاصى وسماها باسم أبيه أنطيوخس ، حاضرة له سنة ٣٠٠ ق . م . وفى هذا العصر السلوقى تحولت بعض المدن ذات الأسماء السامية القديمة الى مدن هلنستية فى الاسم وفى العمران ، فمدينة بيريتوس (بيروت) أصبحت تسمى لاوديسة ، ومدينة حماه سميت أبيفانية ، وأثر أصبحت تسمى تريبوليس أى المدينة الثلاثية ،

---

(١) فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ترجمة الدكتور جورج حداد . بيروت ١٩٥٨ ص ٢٤١ — ٢٤٨

Bruce Condé, op. cit. p.9.

ومع أن أغلب هذه المدن السورية القديمة التى تأغرقت قد فقدت صفتها الهلينية فى العصور التالية ، واستردت بالتدريج شخصيتها السامية ، فان مدينة تريبوليس تعتبر الاستثناء الوحيد لهذه المدن ، فقدظلت تحتفظ باسمها الاغريقى ، الذى عربه المسلمون الى طرابلس (١) .

ثم دخلت تريبوليس فى فلك الامبراطورية الرومانية . وعلى الرغم من أن هذه المدينة لم تلعب فى العصر الرومانى دورا تاريخياً هاماً ، ولم تظفر بالمكانة السامية التى ظفرت بها بعض مدن لبنان مثل بيروت التى أصبحت تؤلف المركز الثقافى للرومان ، ولاوديسة (اللاذقية) ، وأفامية ، وحمص ، ودمشق وهليوبوليس (بعلبك) التى أصبحت المركز الدينى ، فقد اهتم الرومان بمدينة تريبوليس ، فجملوها بالمبانى الرائعة والعمائر الفخمة للالهةعشتروت (الهة السماء) وللاله أدونيس اله الجمال ، وللاله ديوسكرريس (ابن جوبيتر) . وللاسف لم يصل الينا اليوم شىء من هذه الأبنية فى موضعه اللهم الا ما استخدم من أعمدتها الجرانيتية والرخامية وبعض أحجارها المنقوشة فى بناء المساجد والمدارس الطرابلسية .

الفتح العربى :

أصيبت تريبوليس فى القرن السادس الميلادى بزلزال عنيف أدى الى تخريب عدد كبير من آثارها القديمة الا أن المقاومة الشديدة التى قابلت بها هذه المدينة ، الجيوش العربية سنة ٦٣٥ م تدل دلالة واضحة على أنه أعيد بناؤها من جديد قبيل الفتح العربى (٢) .

كانت حصون مدينة طرابلس عند الفتح العربى فى غاية الوثاقة والاحكام ، ولكن المدينة كانت مهددة بقطع الاتصال بريا مع غيرها من المدن ، لأن المدينة كانت تمتد على شبه جزيرة الميناء ، وكان فى امكان

---

(١) فيليب حتى ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج ١ ص ٢٧٨

(٢) M. Sobernheim, Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. II. 1909, p. 38 - Bruce Condé, op. cit. p. 10. تقرير بعثه اليونسكو الى لبنان ص ١٠

الفاتحين أن يعزلوها عن المناطق والنواحى المجاورة ويقطعوا عنها المياه التى يزودها بها نهر قاديشا (أبو على) . وقد حدث هذا بالفعل عندما فتحها معاوية بن أبى سفيان فى خلافة عثمان بن عفان . وأغلب الظن أن العرب افتتحوا مدن الساحل اللبنانى بعد أن افتتحوا دمشق مباشرة سنة ٦٣٥ م . فقد ذكر البلاذرى نقلا عن أبى حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز عن الوضين ، أن يزيد بن أبى سفيان «أتى بعد فتح دمشق صيدا وعرقة وجبيل وبيروت ، وهى سواحل ، وعلى مقدمته أخوه معاوية ، ففتحها فتحا يسيراً ، وجلا كثيراً من أهلها ، وتولى فتح عرقة معاوية نفسه فى ولاية يزيد ، ثم إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل فى آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان ، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ، ثم رمها وشحنها بالمقاتلة ، وأعطاهم القطائع » (١) . ونفهم من ذلك أن معاوية افتتح عرقة ، وهى مدينة ساحلية تقع شمال طرابلس مباشرة ، ولا تبعد عنها كثيراً . ويبدو أن معاوية حاصر طرابلس ، ولكنها استعصت عليه لحصانة أسوارها ، والظاهر أنه افتتحها فتحا يسيراً بدليل ماذكره البلاذرى من أن معاوية « كان يقيم على حصنها اليومين والأيام اليسيرة فربما قوتل قتالا غير شديد ، وربما رمى ففتحها » (٢) . ثم انتقضت طرابلس فى آخر خلافه عمر بن الخطاب (٣) ويضيف البلاذرى أنه لما « استخلف عثمان وولى معاوية الشام ، وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى الى طرابلس ، وهى ثلاث مدن مجتمعة ، فبنى فى مرج (٤) على أميال منها حصنا سمى حصن سفيان ، وقطع المادة عن أهلها من البحر وغيره ، وحاصرهم ، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة ، وكتبوا الى ملك الروم يسألونه أن يمدهم أو يبعث اليهم

---

(١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، القسم الأول نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦ ص ١٥٠

(٢) نفس المرجع ص ١٥٢

(٣) كذلك انتقضت مدينة الاسكندرية فى أول خلافة عثمان بن عفان بعد أن وصلها الأسطول البيزنطى بقيادة منويل ، واحتلتها القوات البيزنطية بمساعدة أهلها .

(٤) يقصد بذلك السهل الخصب الممتد من نهر أبى على حتى الميناء .

بمراكب يهربون فيها الى ما قبله ، فوجه اليهم بمراكب كثيرة ، فركبوها ليلا وهربوا ، ، فلما أصبح سفيان — وكان يبيت كل ليلة فى حصنه ويحصن المسلمين فيه ، ثم يغدو على العدو — وجد الحصن الذى كانوا فيه خاليا ، فدخله ، وكتب بالفتح الى معاوية ، فأسكنه معاوية جماعة كبيرة من اليهود ، وهو الذى فيه المينا اليوم » (١) .

طرابلس فى عصر بنى أمية :

أصبحت طرابلس بعد ذلك قاعدة بحرية ودار صناعة ، لتوافر أخشاب شجر الأرز اللبنانى ، وذلك فى خلافة معاوية ومن خلفه من بنيه ومن بنى مروان . وكان معاوية يوجه اليها كل عام جماعة كثيفة من الجند ، يشحنها بهم للدفاع عنها اذا ما أغار عليها الروم من جهة البحر ، كما كان يولى عليها عاملا من قبله . وكانت حامية طرابلس تقيم بالمدينة فترة الصيف ، ثم يقفل الجند عن طرابلس الى دمشق عندما ينغلق البحر ، وتصعب الملاحة فيه بسبب الأنواء والعواصف ، فيبقى العامل فى قصره لا يفارقه مع عدد قليل من الجند ، وتغلق أبواب المدينة . وظل الأمر على هذا الحال حتى كانت أيام الخليفة عبد الملك بن مروان ، الذى أعاد بناء حصن طرابلس القديم . ويذكر البلاذرى أنه قدم فى أيامه « بطريق من بطارقة الروم ومعه بشر منهم كثير ، فسأل أن يعطى الأمان على أن يقيم بها ، ويؤدى الخراج ، فأجيب الى مسئلته فلم يلبث الا سنتين أو أكثر منهما بأشهر حتى تحين قفول الجند عن المدينة ثم أغلق بابها ، وقتل عاملها ، وأسر من معه من الجند وعدة من اليهود ولحق وأصحابه بأرض الروم . فقدر المسلمون بعد ذلك عليه فى البحر وهو متوجه الى ساحل للمسلمين فى مراكب كثيرة ، فقتلوه ، ويقال بل أسروه

(١) البلاذرى ١٥١ ، وقد ذكر اليعقوبى فى كتابه البلدان أن معاوية نقل الى طرابلس جماعة من الفرس (أنظر البلدان ، ليدن ١٨٩١ ص ٣٢٧)

وبعثوا به الى عبد الملك فقتله وصلبه » (١) . وقيل أن عبد الملك بعث اليه من حاصره بطرابلس ، ثم أخذه سلما ، وحمله اليه ، فقتله . وقيل أيضاً أن طرابلس انتقضت أيام عبد الملك ثم افتتحها الوليد بن عبد الملك فى زمانه (٢) .

وظلت طرابلس طوال العصر الأموى أحد ثغور الشام الحصينة التى تهمم بها الخلفاء الأمويون ، فرموا قلاعها وأسوارها ، وشحنوها بالأجناد والمقاتلة ، وأقاموا الحرس على مناظرها ، واتخذوا المواقيد بها (٣) ويبدو أنهم فعلوا ذلك احتياطا لأى غزو بحرى يقوم به الروم ، كما فعلوا سنة ٢٥ هـ عندما غزوا الاسكندرية وساحل الشام (٤) ، وكما فعلوا بعد ذلك عندما أغاروا على ساحل اللاذقية سنة ١٠٠ هـ ، فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، فهدموا مدينتها ، وسبوا أهلها (٥) .

طرابلس تحت ظل الفاطميين :

ولما قامت الدولة العباسية ، أصبحت طرابلس تابعة لولاية دمشق ، وظلت كذلك الى أن خضعت مع غيرها من مدن الشام لنفوذ أحمد بن طولون ٢٦٤ هـ ، وابنه خمارويه من بعده (٦) . ثم عادت طرابلس مرة ثانية الى نفوذ العباسيين ٢٨٧ هـ . ثم خضعت طرابلس مرة ثانية لمصر فى عهد محمد بن طغج الاخشيد سنة ٣٣٠ هـ . وظلت طرابلس الشام تابعة لمصر الأخشيدية الى أن استولى الفاطميون على الشام سنة ٣٦١ هـ ، ففصلت حكومة طرابلس عن اقليم دمشق ، وأصبحت مدينة طرابلس يتولاها عامل من قبل الخليفة الفاطمى فى القاهرة .

---

(١) البلاذرى ص ١٥١
(٢) نفس المرجع .
(٣) نفس المرجع .
(٤) ابراهيم أحمد العدوى ، الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ، القاهرة ١٩٥٨ ص ٦٢
(٥) البلاذرى ص ١٥٧
(٦) حسن أحمد محمود ، مصر فى عصر الطولونيين ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٧ — ٦٢

تألقت طرابلس فى عهد الفاطميين تألقاً يشهد به من كتب عنها فى ذلك العصر من الرحالة والمؤرخين . فقد وصفها الاصطخرى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى فى كتابه « مسالك الممالك » بأنها « مدينة على بحر الروم عامرة ذات نخل وقصب سكر وخصب » (١) وكذلك وصفها المقدسى من علماء النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى بأنها أجل من صيدا وبيروت وهما مدينتان على الساحل حصينتان (٢) .

وقد تعرضت طرابلس لغارات بحرية قام بها البيزنطيون الذين كانوا دائمى التطلع لاسترداد الشام ، ففى سنة ٣٥٨ هـ (٩٦٩م.) غزا الروم الساحل السورى ، وافتتحوا حصن عرقة ، واكتسحوا نواحى طرابلس ، ثم أعادوا الكرة سنة ٣٦١ هـ ، وانتهبوا بيروت وجبيل ، وفى سنة ٣٨٥ هـ قام البيزنطيون بحملتين فاشلتين ضد طرابلس ، اذ تصدى لهم أهل المدينة ودافعوهم دفاعاً مجيداً ، وأرغموا الامبراطور بازيليوس على رفع الحصار . وكان السلاجقة قد ثبتوا أقدامهم فى شمال الشام ، فاستولوا على حلب ودمشق ، ولم يبق من أملاك الفاطميين فى الشام غير مدن الساحل اللبنانى ابتداء من طرابلس فى الشمال . وكانت طرابلس فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى مدينة عامرة كثيرة الخيرات ، وصفها الرحالة الفارسى ناصر خسرو سنة ٤٣ هـ (١٠٤٦ م) بقوله : « وحول المدينة المزارع والبساتين وكثير من قصب السكر وأشجار النارنج والترنج والموز والليمون والتمر . وكان عسل السكر يجمع حينئذاك » ثم وصف المدينة وذكر أهم معالمها فى العصر الفاطمى فقال : « ومدينة طرابلس مشيدة بحيث تكون ثلاثة من جوانبها مطلة على البحر ، فاذا ماج علت أمواجه السور ، أما الجانب المطل على اليابس فبه خندق عظيم ، عليه باب حديدى محكم ، وفى الجانب الشرقى من المدينة قلعة من

---

(١) الاصطخرى (أبو اسحق الفارسى) : مسالك الممالك ، الجزء الأول من المكتبة الجغرافية العربية ليدن ١٩٢٧ ، ص ٦١

(٢) المقدسى (شمس الدين أبى عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦ ص ١٦٠

الحجر المصقول عليها شرفات ومقاتلات من الحجر نفسه ، وعلى قمتها عرادات لرقايتها من الروم ، فهم يخافون أن يغير هؤلاء عليها بالسفن . ومساحة المدينة ألف ذراع مربع ، وأربطتها أربع أو خمس طبقات ، ومنها ما هو ست طبقات أيضاً . وشوارعها وأسواقها جميلة ونظيفة حتى لتظن أن كل سوق قصر مزين . وقد رأيت بطرابلس ما رأيت فى بلاد العجم من الأطعمة والفواكه ، بل أحسن منه مائة مرة » . وأخيراً يصف المسجد الجامع فيقول : « وفى وسط المدينة جامع عظيم نظيف جميل النقش حصين ، وفى ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام فى وسطه فوارة من النحاس الأصفر » (١) .

طرابلس حاضرة بنى عمار :

ظلت طرابلس تحت السيادة الفاطمية الى أن استقل بها أبو طالب بن عمار ، قاضى طرابلس واستبد بأمرها ، فلما توفى فى رجب سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧١ م) قام مكانه ابن أخيه الملك أبو الحسن بن عمار الذى تلقب بجلال الملك (٢) . وكان أمراء بنى عمار يشجعون العلماء والأدباء بالعطايا والهبات وأسسوا مدرسة سموها دار العلم ، وكانت مكتبة طرابلس فى عهدهم تضم مائة ألف مجلد . وفى عهدهم بلغت طرابلس ذروة مجدها وعظمتها (٣) واكتمل ازدهارها الاقتصادى والفنى ، وأهم ما اشتهرت به طرابلس فى هذا العهد صناعة الورق الذى يفوق ورق سمرقند من حيث الجودة . ولكن لم يتح لهذا الرخاء أن يستمر طويلا ، ففى الوقت الذى تولى فيه الأمير فخر الملك أبو على عمار بن محمد بن عمار آخر أمراء بنى عمار امارة طرابلس سنة ٤٩٢ هـ (١٠٩٨ م) ، كانت الحملة الصليبية الأولى فى طريقها الى بلاد الشام ، وتمكن بلدوين من الاستيلاء على الرها فى نفس هذا

---

(١) ناصر خسرو ، سفرنامة ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ص ١٣

(٢) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، طبعة بولاق ١٢٩٠ هـ ج ١٠ ص ٢٦

أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر ، القسطنطينية ١٢٨٦ هـ ج ٢ ص ١٩٨

(٣) ابن الأثير ، المرجع السابق ج ١٠ ص ٢٦

العام، وأسس فيها أولى الامارات اللاتينية ، كما تمكن بوهمند من الاستيلاء على أنطاكية فى العام نفسه ، وأسس فيها امارة صليبية . واستمرت جيوش الصليبيين فى تقدمها جنوبا نحو بيت المقدس متبعة طريقين ، أحدهما جوفى والآخر ساحلى ، وتمكن ريموند دى سان جيل Raymond de Saint Gilles كونت دى تولوز من الاستيلاء على حصن الأكراد، ثم هاجم عرقة، فقاومته طويلا مما أضطره الى رفع الحصار عنها أملا فى الاستيلاء على بيت المقدس . وقيل ان فخر الملك بن عمار بعث اليه هدايا قيمة وأموالا طائلة حتى يصرفه عن دولته . وبالفعل تابعت جيوش الصليبيين سيرها جنوبا، فاستولت على بيت المقدس ١٠٩٩ ، وتولى امارتها جود فروى، ثم خلفه أخوه بلدوين بعد عام واحد . وكان ريمرند دى سان جيل أو صنجيل حسب المصادر العربية يزمع العودة لمهاجمة طرابلس أملا فى الاستيلاء عليها وجعلها مركزاً لامارة بهذا الاسم ، بعد أن فشل فى الظفر بامارة بيت المقدس ، فاقبل اليها مع فرقة من فرسانه ، وهاجمها ، ولكنه لم يوفق فى افتتاحها لحصانتها ووثاقة أسوارها ، فاضطر الى محاصرتها ٤٩٢ هـ (١٠٩٩ م)، ولما طال عليه الحصار أقام على التل المشرف على نهر قاديشا قلعة عرفت باسمه، وكان ذلك فى ٤٩٥ هـ (١١٠٢ م) وفى ذلك يقول ابن الاثير «وأقام على طرابلس يحصرها ، فحيث لم يقدر أن يملكها بنى بالغرب منها حصنا وبنى تحته ربضا، وأقام مراصداً لها ومنتظراً وجود فرصة منها ..» (١) وكان الأمير فخر الملك يغير على هذا الحصن لاضعاف خصومه ، ففى سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) خرج فخر الملك ابن عمار فى عسكره مع عدد كبير من أهل طرابلس وهاجموا « الحصن الذى بناه صنجيل عليهم، وأنهم هجموا عليه على غرة ممن فيه ، فقتل من به ونهب ما فيه وأحرق وأخرب وأخذ منه السلاح والمال والديباج والفضة الشيء الكثير وعاد الى طرابلس سالما » (٢) . وهاجم الأمير فخر الملك هذا الحصن مرة ثانية فى طليعة سنة ٤٩٩ هـ (١١٠٥ م) « فأحرق ربضه

---

(١) نفس المرجع ص ١٥٤

(٢) ابن القلانسى ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ص ١٤٦

ووقف صنجيل على بعض سقوفه المحترقة ، ومعه جماعة من القامصة والقرسان ، فانخسف بهم ، فمرض صنجيل من ذلك عشرة أيام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه . ثم أن ملك الروم أمر أصحابه باللاذقية ليحملوا الميرة الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس ، فحملوها فى البحر ، فأخرج اليهم فخر الملك بن عمار أسطولا فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد ، فظفر المسلمون بقطعة من الروم فأخذوها وأسروا من كان بها وعادوا » (١).

سقوط طرابلس فى ايدى الصليبيين :

اشتد حصار الفرنج لمدينة طرابلس وكان الأسطول الجنوى يقطع الأقوات على المدينة من البحر ، بينما كانت قوات الفرنج تحاصر الميناء برا : بعد أن انتسفت الزروع والبساتين الواقعة على نهر قاديشا ، وطال الحصار ، وانقطعت الأقوات عن طرابلس ، واشتدت المحنة على سكان طرابلس « فعدمت الأقوات به ، وخاف أهله على نفوسهم وأولادهم وحرمهم ، فجلا الفقراء ، وانتفى الأغنياء وظهر من ابن عمار صبر عظيم وشجاعة ورأى سديد » (٢) .

وفى سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) تتابعت المكاتبات بين فخر الملك بن عمار الى السلطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملكشاة السلجوقى ، ووصف له فخر الدين عظم « ما ارتكبه الافرنج من الفساد فى البلاد وتملك المعاقل والحصون بالشام والساحل والفتك فى المسلمين ومضايقة ثغر طرابلس والاستغاثة اليه والاستصراخ والحض على تدارك الناس بالمعونة » (٣)

ولما اشتد الأمر بفخر الملك من حصار الأفرنج وتطاول أيامه ،(٤) وقلت عنده الأموال ، وقاسى أهل طرابلس الفقراء ، اضطر الى الحجر

---

(١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥٤
(٢) نفس المرجع .
(٣) ابن القلانسى ، ص ١٥٦
(٤) كان السبب فى استمرار مقاومة أهل طرابلس للصليبيين أنهم ظفروا سنة ٥٠٠ هـ بمركب تحمل مؤناً وأقواتاً من جزيرة قبرص وأنطاكية ، « فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد أن كادوا استسلموا » ابن الأثير ج ١٠ ص ١٧٠

على أموال الأغنياء ووزعها على الفقراء متبعا فى ذلك النظام الاشتراكى الاسلامى ، وفى ذلك يقول ابن الأثير « وأجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء ، فلما قلت الأموال عنده شرع يقسط على الناس ما يخرجه فى باب الجهاد ، فأخذ من رجلين من الأغنياء مالا مع غيرهما ، فخرج الرجلان الى الفرنج وقالا ان صاحبنا صادرنا ، فخرجنا اليكم لنكون معكم ، وذكروا له أنه تأتيه الميرة من عرقة والجبل ، فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شىء الى البلد، فأرسل ابن عمار ، وبذل للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه ، فلم يفعلوا ، فوضع عليهما من قتلهما غيلة . وكانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام وأكثرها تجملا وثروة ، فباع أهلها من الحلى والأوانى الغريبة مالاحد عليه ، حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار » (١).

وطال ترقب فخر الملك لوصول الامدادات من بغداد دون جدوى ، فعزم على الخروج بنفسه لمقابلة السلطان السلجوقى والانتصار به ، فاستناب عنه بطرابلس ابن عمه أبا المناقب ، ووجوه أصحابه ، وأمره بالمقام بالمدينة «ورتب معه الأجناد برا وبحرا ، وأعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا ، وجعل كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث أن ابن عمه لا يحتاج الى فعل شىء من ذلك» (٢) وخرج الأمير فخر الملك قاصدا بغداد فى رمضان سنة ٥٠١ هـ (١١٠٧ م) . وسار الى دمشق . فما كاد يصل هناك حتى بلغه خروج ابن عمه عليه ومناداته لشعار الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى(٣) . فكتب فخر الملك الى أصحابه يأمرهم بالقبض على أبى المناقب وحمله الى حصن الخوابى من حصون طرابلس ، ففعلوا ما أمرهم .

---

(١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٥٤

هذا النص يدلنا على أن النظام الاشتراكى طبق على طرابلس عند الضرورة ، فصودرت أموال الأغنياء ووزعت على الفقراء ، وكان هناك فريق من الرجعيين الذين لم يرضهم مصادرة أموالهم فى سبيل الوطن ، فتآمروا مع الأعداء ودلوهم على عورات المسلمين ، ولاشك أن هذا النص على جانب كبير من الأهمية لأنه يكشف لنا عن دور هام قامت به مدينة طرابلس ، قلعة العروبة فى العصر الاسلامى ، وقلعتها فى العصر الحاضر .

(٢) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٧٠

(٣) ابن القلانسى ص ١٦٠ - ابن الأثير ص ١٧٠

ولكن أهل طرابلس كاتبوا الأفضل يلتمسون منه واليا يقيم بطرابلس، كما طلبوا منه أن يرسل اليهم الميرة فى البحر «فسير اليهم شرف الدولة ابن أبى الطيب واليا ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد فى الحصار» (١)

وما كاد هذا الوالى يصل الى المدينة حتى قبض على جماعة من أسرة ابن عمار وأتباعه وصادر أموالهم وعقاراتهم ، ونفاهم الى مصر .

عاد فخر الملك بن عمار من بغداد فى منتصف المحرم سنة ٥٠٢ ه . فأقام بها عدة أيام وتوجه منها مع بعض عسكره الى جبيل ، فدخلها واستقر بها ، وظل هناك الى أن استولى الصليبيون عليها بعد ذلك .

أما الفاطميون فقد كانوا أقل كفاية من بنى عمار فى الدفاع عن آخر معقل عربى على الساحل السورى ، فقد أحكم الأسطول الجنوى والفرنجى الحصار البحرى على الميناء . وفى أول شعبان سنة ٥٠٣ ه (١١٠٩ م) وصل الى ميناء طرابلس أسطول حربى كبير شدد الحصار على الميناء وقطع عن المدينة كل اتصال خارجى مع مصر ، وفى نفس الوقت هاجم برتران دى تولوز Bertrand de Toulouse ابن ريموند دى سان جيل ، ويسميه المؤرخون العرب ريمند بن صنجيل أسوار مدينة طرابلس وانضم اليه فى الهجوم عدد كبير من المقاتلين الأفرنج ، وألصقوا أبراجهم بسور طرابلس ، وشد الأفرنج القتال على طرابلس من الأبراج فاقتحموا السور ، ودخلوا المدينة عنوة يوم الاثنين ١١ ذى الحجة سنة ٥٠٣ ه (٢٦ يونيو ١١٠٩ م) «ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال ، وسبوا النساء والأطفال ، ونهبوا الأموال ، وغنموا من أهلها من الأموال والأمتعة وكتب دور العلم الموقوفة مالا يحد ولا يحصى ، فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة» (٢) .

---

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ١٧١

(٢) ابن القلانسى ، ص ١٦٣ — ابن الأثير ج ١٠ ص ١٨٠

طرابلس امارة صليبية :

أصبحت طرابلس مركزا لامارة لاتينية تولاها بيت تولرز ، وكانت تضم جبيل وعرقة وطرطوس ، واستمرت هذه الامارة فى خلفاء هذا البيت التولوزى الى أن خضعت لأمراء أنطاكية ، ثم أعلنت جمهورية مستقلة تحت حماية جمهورية جنوة سنة ١٢٨٨ م .

وعلى الرغم من النكبات الجسام التى منيت بها مدينة طرابلس منذ أن استولى عليها الصليبيون سنة ١١٠٩ الى أن حررها المنصور قلاوون سنة ١٢٨٩ م (١) (أى ١٨٠ سنة) فقد أعيد بناؤها من جديد فى هذا العصر وأطلق عليها اسم Triple ، وأصبحت مركزاً أسقفيا لاتينيا ، وأقيمت فيها الكنائس والأديرة والمستشفيات ، وازدهرت من الناحية الاقتصادية ازدهارا لم تشهده من قبل ، فكانت تصدر الحرير والمنتجات الشرقية (٢) .

وتمت مدينة طرابلس الجديدة ، وامتدت أرباضها من البحر حتى جبل الحجاج حيث تقوم قلعة صنجيل ، التى استطاعت أن تصمد طويلا أمام جيوش صلاح الدين .

لقد حاول صلاح الدين الأيوبى أن يحرر سواحل الشام من الصليبيين وكان هؤلاء ينتهزون الفرص المواتية للايقاع بين المسلمين وبث بذور الفتنة بين أمرائهم حتى لا يتمكن هذا البطل من تحقيق هدفه ، وهو توحيد الشام و مصر فى جبهة اسلامية واحدة يمكنها أن تصمد أمام الصليبيين وتقضى على ملكهم (٣) . فعندما أراد صلاح الدين دخول حلب سنة ٥٧٠ هـ

---

(١) أصيبت طرابلس باضرار فادحة نتيجة لزلزال عام ١١٥٨ م وهو الزلزال الذى أشار اليه أبو الفداء ، بأنه حدث فى رجب سنة ٥٥٢ هـ (أنظر أبو الفداء ، المختصر ج ٣ ص ٣٢) وكذلك تعرضت لزلزال آخر حدث سنة ١١٧٠ م أشار اليه بنيامين التطلى بقوله « حدث زلزال فى طرابلس سبب موت عدد كبير من الناس واليهود اذ سقطت عليهم الدور والجدران » أنظر . Viaje de Benjamin de Tudela, P. 67

(٢) تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان ص ١٠ و Sobernheim, C. I. A. P. 43

(٣) جمال الدين الشيال : وحدة مصر وسورية فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٥٨ ص ١٣

(١١٧٤ م) استنجد أمراء الجيش فيها بأعداء صلاح الدين ، وأولهم ملك طرابلس الصليبي الذى خرج من طرابلس الى حمص وحاول الاستيلاء عليها ليقطع طريق العودة على صلاح الدين وجيشه ، ولكنه فشل فى خطته ، وسقطت حمص فى أيدى المسلمين . وفى ٢٥ ربيع الآخر سنة ٥٨٣ ﻫ (٤ يوليو ١١٨٧) حدثت أكبر موقعة فى تاريخ الحروب الصليبية بين قوات صلاح الدين وبين جيوش الصليبيين مجتمعة ، موقعة حطين الشهيرة ، وفيها انهزم الصليبيون هزيمة نكراء ، وأسر صلاح الدين ملك بيت المقدس وصاحب الكرك وصاحب جبيل وصاحب تبنين ومقدم الداوية وأعوانه .

وفتح انتصار صلاح الدين فى حطين الطريق أمامه للاستيلاء على مدن الساحل اللبنانى والفلسطينى ، فقد تبع انتصار المسلمين فى الموقعة المذكورة استيلائهم على طبرية وعكا ، وبذلك تمهد السبيل أمام الجيش الاسلامى لغزو المدن الساحلية من طرابلس شمالا حتى عسقلان وغزة والداروم ، لقد افتتح قيسارية بالسيف سنة ٥٨٣ ﻫ (١) ، وأتبعها بحيفا وأرسوف ونابلس ، كما افتتح حصن الفولة وحصن تبنين ، وتم فتح صيدا فى ٢١ جمادى الأولى. ثم افتتحت بيروت فى ٢٩ جمادى الأولى ، وتلتها جبيل فى ٢٧ جمادى الأولى (٢)

ثم توج فتوحاته بفتح بيت المقدس بعد عسقلان فدخلها فى ٢٧ رجب (٣) من نفس السنة . وهكذا استكمل صلاح الدين فتح بلاد الشام جميعا باستثناء صور وطرابلس والمرقب وأنطاكية ويعلل صالح بن يحى ذلك بأن صور صعب أخذها « لاجتماع الفرنج وأما طرابلس فكان قد استولى عليها صاحب أنطاكية وكان من جهة السلطان ، وأما المرقب فلأنه كان حصنا منيعا لم يتعرض السلطان اليه » (٤)

---

(١) ابن الأثير ج ١١ ص ٢٢٠ — ٢٢١

(٢) عماد الدين الاصفهانى : كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى ، نشره كارلو دى لاندبرج تحت عنوان Conquête de la Syrie et. de la Palestine ليدن ١٨٨٨ ص ٣٣ — ٤٣

(٣) ابن الأثير ج ١١ ص ٢٢٥ — ٢٣٦ — أبو شامة ، الروضتين فى أخبار الدولتين طبعة مصر ١٢٨٨ ج ٢ ص ٨٧

(٤) صالح بن يحيى ، تاريخ بيروت ، نشره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٨٩٨ ص ٣٦

أحدث سقوط بيت المقدس فى أيدى المسلمين رد فعل شديد فى أوربا ، وكان ذلك هو السبب المباشر فى قدوم الحملة الصليبية الثالثة ، التى اشترك فيها أعظم ملوك أوربا المسيحية بأساً ، وهم فردريك بربروسة ملك ألمانيا ، وفيليب أغسطس ملك فرنسا ، وريتشارد قلب الأسد ملك انجلترا ، وكانت عكا مسرح أحداث هذه الحملة التى انتهت باسترداد الصليبيين لعكا فى ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ هـ وعسقلان والرملة . وتم الصلح سنة ٥٨٧ هـ (١١٩٢) على أن يكون الساحل من صور الى يافا فى أيدى الأفرنج ، وأن يكون داخل البلاد فى أيدى المسلمين ، بشرط أن يسمح للمسيحيين بالحج الى بيت المقدس ، وأن تضم طرابلس وأنطاكية للفرنج .

ولما مات صلاح الدين فى ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣م) تمزقت مملكته بين بنيه واخوته ، واشتد النزاع بينهم وانتهز الصليبيون هذه الفرصة فاستولوا على صيدا ثم استولوا على بيروت سنة ٥٩٤ هـ (١) ، ثم سقطت جبيل فى نفس هذا العام ، وسقطت تبنين وبيت المقدس سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٩م) وسقطت صفد سنة ٦٣٧ هـ (١٢٤٠ م) وطبرية سنة ٦٤١ هـ (١٢٤٤ م) أما طرابلس فقد كانت مركزا لشن الغارات على الأراضى الاسلامية ، ففى ذى القعدة سنة ٦٠٠ هـ أغار فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية وكمنوا لقوات المسلمين فقتلوا منهم عددا كبيراً (٢) وحاول الملك العادل أن يحاصرها فلم ينل منها الا مهادنة صاحبها سنة ٦١٤ هـ (٣) .

* * *

أحدث سقوط بغداد فى أيدى التتار فى ١٠ محرم سنة ٦٥٦ هـ (١٢ فبراير سنة ١٢٥٨) دويا هائلا فى سائر أنحاء العالم الإسلامى . ونبه المسلمين فى مصر والشام الى ضرورة التكتل وتوحيد الصفوف أمام خطر التتار المدمر ، ولذلك

---

(١) ابن واصل ، مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٠ ص ٧٤

(٢) نفس المرجع ص ١٦٦ — ١٦٧

(٣) نفس المرجع ص ١٧٥ — دائرة معارف البستانى ، مادة طرابلس .

حرص سلاطين المماليك بعد انتصار المسلمين فى عين جالوت فى ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هـ (٣ سبتمبر سنة ١٢٦٠م) على توحيد سورية بعد تحريرها من الصليبيين ، فلم ينس المماليك تقارب الصليبيين من التتار للقضاء على الاسلام ممثلا فى قوة مصر المملوكية . ولذلك كان على سلاطين المماليك فى مصر أن ينتهجوا سبيل صلاح الدين الذى كان له الفضل الأعظم فى اخراج الصليبيين من بيت المقدس . وذلك بالقضاء على اماراتهم الباقية فى أنطاكية وطرابلس وعكا(١).

ويعتبر بيبرس بحق خليفة صلاح الدين فى الجهاد ضد الصليبيين ، ففى ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) تمكن من الاستيلاء على قيسارية وعثليت وحيفا وأرسوف، وفى ٦٦٤ هـ جهز عسكره الى ساحل طرابلس ، ففتح القليعات وحلبا وعرقة ونزل على صفد وفتحها فى ١٩ شعبان . ثم استولى على يافا فى سنة ٦٦٦ هـ وشقيف أرنون فى نفس هذا العام ، وتوج فتوحاته فى رمضان من هذا العام بالاستيلاء على أنطاكية أقدم دولة لاتينية فى الشام ، وعاصمة أقوى الامارات الصليبية الباقية .

ثم هاجم قلاع الصليبيين ، سنة ٦٦٩ هـ فاستولى على مصياف وعكار وحصن الأكراد . وفى فتحه لعكار يقول محيى الدين بن عبد الظاهر :

يامليك الأرض بشراك فقد نلت الارادة
ان عكار يقينا هى عكا وزيادة (٢)

وأدى استيلاء بيبرس على أنطاكية وحصن الأكراد الى اضعاف المراكز الدفاعية المتوزعة حول طرابلس نفسها ، وساعد على ذلك الفتن والخلافات الداخلية التى نشبت بعد وفاة بوهمند السابع كونت طرابلس فى شوال سنة ٦٨٦ هـ (نوفمبر ١٢٨٧م)، تاركا امارة طرابلس دون وريث

---

(١) سعيد عاشور ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٥١
(٢) أبو الفدا ، ج ٤ ص ٦
نلاحظ أن الظاهر بيبرس ناصف الفرنج أيضاً على المرقب وبلنياس وأنطرطوس (أنظر صالح بن يحيى ص ٤١)

فورثته أخته لوسيا على طرابلس ، وبينما كان النزاع على أشده بين لوسيا وبين بارتلميو امبراسيو (١) صاحب جبيل ، وقائد الخيالة فى طرابلس، بعد موت بوهمند ، بسبب عزلهاله ،وكانت قوات المماليك بقيادة السلطان الملك المنصور قلاوون تجتاح امارة طرابلس ، وتضرب الحصار على المدينة .

تحرير طرابلس على يدى قلاوون :

فى أول ربيع الآخر ٦٨٨ ه (٢٦ أبريل سنة ١٢٨٩ م) دخلت قوات المماليك بقيادة السلطان قلاوون مدينة طرابلس بعد حصار دام ٣٨ يوما . وتفصيل الفتح وفقا لرواية أبى الفداء، وكان يشهد هذا الحدث الكبير ، «أن السلطان الملك المنصور خرج بالعساكر المصرية فى المحرم من هذه السنة ، وصار الى الشام . ثم سار بالعساكر المصرية الشامية ، ونازل مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الأول من هذه السنة ، ويحيط البحر بغالب هذه المدينة ، وليس عليها قتال فى البر الا من جهة الشرق ، وهو مقدار قليل ، ولما نازلها السلطان نصب عليها عدة كثيرة من المجانيق الكبار والصغار ولازمها بالحصار واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر من هذه السنة بالسيف ، ودخلها العسكر عنوة ، فهرب أهلها الى الميناء ، فنجا أقلهم فى المراكب ، وقتل غالب رجالها ، وسبيت ذراريهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة . وحصار طرابلس هو أيضاً مما شاهدته ، وكنت حاضرا مع والدى الملك الأفضل وابن عمى الملك المظفر صاحب حماة ، ولما فرغ المسلمون من قتل أهل طرابلس ونهبهم ، أمر السلطان فهدمت ودكت الى الأرض ، وكان فى البحر قريباً من طرابلس جزيرة وفيها كنيسة سنطماس ، وبينها وبين طرابلس الميناء ، فلما أخذت طرابلس، هرب الى الجزيرة المذكررة والى الكنيسة التى فيها عالم عظيم من الفرنج والنساء ، فاقتحم العسكر الاسلامى البحر ، وعبروا بخيولهم سباحة الى الجزيرة المذكورة

---

(١) يسميه أبو المحاسن سيرتلميه الفرنجى (النجوم الزاهرة ، طبعة القاهرة ١٩٣٨ ج ٧ ص ٣٢٠) .

فقتلوا جميع من فيها من الرجال ، وغنموا ما بها من النساء والصغار . وهذه الجزيرة بعد فراغ الناس من النهب ، عبرت اليها فى مركب ، فوجدتها ملأى من القتلى بحيث لايستطيع الانسان الوقوف فيها من نتن القتلى . ولما فرغ السلطان من فتح طرابلس وهدمها عاد الى الديار المصرية » (١)

وفى فتح طرابلس يقول الشاعر شهاب الدين أبو الثناء محمود يمدح قلاوون :

نهضت الى عليا طرابلس التى أقل عناها أن خندقها البحر (٢)

كذلك مدحه الشاعر نجم الدين الخيمى بقصيدة جاء فيها :—

هنيئاً أيها الملك الهمام بنصر لا ينال ولا يرام
نزلت على طرابلس بجيش فدار لثغرها منه لثام
وكان الدوح خيم فى حماها فزال وخيمت فيها الخيام
ولو علموا بأخذكها سريعا لقاموا للفرار وما أقاموا
وظنوا أنهم فيها عظام فهاهم فى جوانبها عظام (٣)

هدم قلاوون مدينة طرابلس وخربها ، وعمد الى بناء مدينة أخرى لطرابلس تقع بعيدا عن الساحل حتى يمحى ذكرى المدينة الصليبية ، وحتى تتجنب المدينة الجديدة ما قد يصيبها من غارات الفرنجة ، الذين تكتلوا بعد ذلك فى عكا وقبرص . واختار لذلك الغرض الربض الواقع أدنى قلعة صنجيل ، فى موضع يقال له وادى الكنائس ، وأقام فى موضع المدينة المخربة عددا من الأبراج على طول الساحل الشرقى والشمالى من الميناء . وكانت الأبنية الجديدة تقام من بقايا أبنية المدينة الخربة ، وفى بناء مدينة

(١) أبو الفدا ، المختصر ج ٤ ص ٢٤

(٢) أبو المحاسن ج ٧ ص ٣٢٢

(٣) هذه القصيدة أوردها الشيخ كامل البابا فى حديثه بمجلة الارشاد الاجتماعى العدد ٢٧ ، نيسان سنة ١٩٦٢ ص ٨

طرابلس الجديدة يقول ابن تغرى بردى «أما طرابلس القديمة ، كانت من أحسن المدن وأطيبها ، ثم بعد ذلك اتخذوا مكانا على ميل من البلدة ، وبنوه مدينة صغيرة بلاسور ، فجاء مكانا ردىء الهواء والمزاج من الوخم» (١).

وما زلنا نرى بقايا الأبنية الصليبية مستخدما من جديد فى العقود التى تعلو الدروب وفى عقد مدخل حمام عز الدين ايبك الموصلى والى طرابلس (٦٩٤ — ٦٩٨هـ) ، وفى عقد المدخل الى الجامع المنصورى الكبير ، وغير ذلك من آثار الكنائس كما سنوضحه فيما بعد عند دراستنا لآثار طرابلس فى العصر الاسلامى .

طرابلس فى ظل المماليك :

لما هدمت طرابلس ، استقر الجند بحصن الأكراد ، فلما عمرت المدينة المجاورة للنهر ، اختلفت اليها الأجناد ، وعمروا فيها الحمامات والقياسر والمساجد والمدارس ، وأجريت المياه فى دورها بقساكل ، وعمرت دار السلطنة لنزول نائب السلطنة لطرابلس ، وكانت هذه الدار تقع على مرتفع بالقرب من حصن صنجيل بحيث تشرف على المدينة (٢) .

وكان أول من تولى نيابة السلطنة فى طرابلس الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى وظل فى منصبه الى أن نقل الى حلب فى دولة الأشرف خليل بن المنصور قلاوون سنة ٦٩١ هـ ، وخلفه فى النيابة الطرابلسية الأمير سيف الدين طغريل الايغانى وأقام بها أياما واستعفى ، فأعفاه الأشرف خليل ثم ولى نيابة طرابلس بعد ذلك الأمير عز الدين أيبك الخازندار المنصورى فظل بها حتى عزله عنها السلطان العادل زين الدين كتبغا المنصورى سنة ٦٩٤ هـ ، وفرض نيابتها الى الأمير عز الدين أيبك الموصلى ، فولها حتى وفاته سنة ٦٩٨ هـ . ونلاحظ أن المسجد الجامع افتتح فى عهد الملك الأشرف خليل (٦٨٩ — ٦٩٣ هـ) فى ولاية عز الدين أيبك الخازندار وإلى الأمير سيف الدين اسندمر ينسب عدد كبير من أبنية طرابلس فى عصر دولة المماليك

---

(١) أبو المحاسن ج ٧ ص ٣٢٢

(٢) أنظر نص النويرى الذى أورده سوبرنهايم فى C. I. A ص ٤٦

البحرية فقد أسس حماما وقيسارية وطاحونا ومساكن لمماليكه كما أعاد بناء جزء كبير من قلعة صنجيل، وشيد أبراجا بطرابلس (١). وبلغت طرابلس فى منتصف القرن الثامن الهجرى ذروة عظمتها وازدهارها العمرانى ، واتسعت أعمالها حتى صارت أعظم من نيابة حماه . وهكذا تهمم سلاطين المماليك البحرية بتوسيع العمران فى المدينة ، فشملوها برعايتهم وأولوها جانبا كبيرا من اهتمامهم وعنايتهم وجملوها بالمبانى الفخمة التى ما تزال قائمة حتى يومنا هذا . وبالاضافة الى هذه الحركة العمرانية الزاهرة ، استعادت طرابلس رخاءها الاقتصادى ، فكثرت أسواقها ومرافقها ، واتسعت تجاراتها ، وكثرت خاناتها التى تأوى التجار من سائر بلاد العالم بحيث أصبحت مدينة طرابلس فى عصر المماليك صورة مصغرة لمدينة القاهرة ، من حيث كثرة المساجد والمدارس بقبابها ومآذنها وبواباتها ، ومن حيث نشاط سوقها الاقتصادى بسبب الصادرات والواردات . وقد لاحظ غرس الدين خليل الظاهرى ذلك فقال : « وهى مدينة حسنة بها جوامع ومدارس وأسواق وحمامات وعمائر حسنة ، وهى على شاطىء البحر المحيط ، يقال انها شامية مصرية لحسن هيئتها » (٢) .

ونلاحظ أن أهم ما كانت تمتاز به طرابلس تجارة الحرير المصنوع فيها وفى بعض أعمالها مثل القدموس والكهف والخوابي والعليقة ، وكذلك صناعة الصابون والمواد الكيمائية كالصودا والبوتاس . ومازال بطرابلس حتى اليوم خانان يعرف أحدهما بخان الخياطين والآخر خان الصابون . ومن بين الرحالة المسلمين الذين وصفوها فى هذا العصر ، الرحالة ابن بطوطة ، فقد زارها أيام الناصر محمد بن قلاوون ووصفها بقوله : « وهى احدى قواعد الشام وبلدانها الضخام ، تخترقها الأنهار ، وتحفها البساتين والأشجار ويكتنفها البحر بمرافقه العميمة ، والبر بخيراته المقيمة ، ولها الأسواق العجيبة

---

(١) النص السابق ص ٤٧

(٢) غرس الدين خليل بن شاهين الظاهرى ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك نشره بول رافيس ، باريس ١٨٩٤ ص ٤٨ .

والمسارح الحصينة ، والبحر على ميلين منها ، وهى حديثة البناء . وأما طرابلس القديمة ، فكانت على ضفة البحر ، وتملكها الروم زمانا ، فلما استرجعها الملك الظاهر (١) ، خربت ، واتخذت هذه الحديثة . وبهذه المدينة نحو أربعين من أمراء الاتراك ، وأميرها طيلان الحاجب المعروف بملك الأمراء (٢) ، ومسكنه منه بالدار المعروفة بدار سعادة .. وبهذه المدينة حمامات حسان منها : حمام القاضى القرمى ، وحمام سندمور (٣) ، وكان سندمور أمير هذه المدينة ويذكر عنه أخبار كثيرة فى الشدة على أهل الجنايات » (٤) .

وظلت طرابلس تحتفظ بمكانتها السامية من بين نيابات الشام ، حتى أصبحت منذ سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ثالث نيابة سورية . وتعرضت سنة ٧٦٤هـ (١٣٦٣م) لغارة قام بها بطرس دى لوزنيان صاحب قبرص ، فافتتحها وأحرقها ، ولكنه اضطر الى الجلاء عنها (٥) ، ثم أغار عليها لوزنيان مرة اخرى فى يناير وسبتمبر سنة ١٣٦٧ م .

وفى عصر دولة المماليك الشراكسة حظيت طرابلس بعناية السلاطين ، فأمهروها بالأبنية الفخمة من مدارس ومساجد ، وعمل بعض السلاطين على إبطال المظالم المحدثة على أهل طرابلس ، كالمؤيد شيخ (سنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) أو أبطلوا بعض الرسوم المفروضة على الأنوال وخراج الكروم ، كالظاهر جقمق سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م) أو الغوا الرسوم المفروضة على مذبح طرابلس كالأشرف قايتباى سنة ٨٧٢ هـ .

---

(١) انما ارجعها المنصور قلاوون لا الظاهر ببيرس .

(٢) تحريف من طينال وهو الأمير سيف الدين طينال الأشرفى الناصرى الحاجب تولى نيابة طرابلس فى جمادى الآخرة سنة ٧٢٦ ثم نقل فى ربيع الأول سنة ٧٣٣ الى نيابة غزة ، ثم أعيد الى نيابة طرابلس سنة ٧٣٥ ، وعمر بظاهرها مسجداً ثم عزل فى محرم سنة ٧٤١ ثم عاد الى نيابة طرابلس زمن فتنة الناصر أحمد نظره بها الى صفر سنة ٧٤١ هـ وتوفى فى ربيع الأول .

(٣) نسبة الى الامير سيف الدين أسندمر كرجى المنصورى الذى ذكرناه آنفا .

(٤) ابن بطوطة ، الرحلة طبعة دار صادر – بيروت ، بيروت ١٩٦٠ ص ٦٤–٦٥ .

(٥) دائرة معارف البستانى – مادة طرابلس .

واحتفظت طرابلس بازدهارها الاقتصادى فى القرن السادس عشر ، ثم انحط هذا الاقتصاد بالتدريج بسبب سوء الادارة العثمانية ، وبسبب الخلافات الداخلية بين الباشوات الأتراك . ولم تلبث طرابلس أن تنازلت عن مكانتها الأولى لمدينة بيروت التى أصبحت العاصمة الفعلية للبلاد عقب الاستقلال .

(ثانياً) آثار طرابلس الاسلامية

(١) المساجد :

١ - المسجد الكبير :

عندما زار الرحالة الفارسى ناصر خسرو مدينة طرابلس فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، وصف مسجدها الجامع بقوله « وفى وسط المدينة جامع عظيم نظيف ، جميل النقش حصين ، وفى ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام فى وسطه فوارة من النحاس الأصفر»(١) هذا الجامع لم يعد له وجود بطبيعة الحال لأن مدينة طرابلس التى وصفها ناصر خسرو تهدمت تماما سنة ٦٨٨ هـ بعد أن افتتحها المنصور قلاوون . أما الجامع الكبير الحالى فقد أقيم بعد ذلك فى المدينة الجديدة ، على الضفة اليسرى من نهر قاديشا (أبى على)،وكان موضع هذا الجامع كنيسة أقيمت فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى ، فى الوقت الذى كان فيه ريموندى سان جيل يحاصر مدينة طرابلس العربية من حصنه الواقع على تل الحجاج . ولكن هذه الكنيسة هدمت عقب زلزال سنة ١١٧٠ م ، أى سقوط أسرة تولوز وقيام أسرة أنطاكية الايطالية بسنوات قليلة . وعمل الأمير بوهمند على ترميم الكنيسة الفرنجية الخربة ، وقد ترك مهندسوه الايطاليون طابع بلادهم على البرج اللومباردى القائم حاليا بأعلى المدخل الشمالى للجامع . ويبدو أن هذه الكنيسة تأثرت بزلزال سنة ١٢٨٧ م الذى أحدث فيها أضرارا جسيمة ،

---

(١) ناصر خسرو ، سفرنامة ص ١٣

ثم تهدمت على أثر دخول جيوش المماليك الظافرة فى مدينة طرابلس سنة ١٢٨٩ م ، وبقيت منها أجزاء استغلها مهندس الجامع فى بنائه . ولانستبعد أن يكون المنصور قلاوون قد قنع ببناء بيت للصلاة فى نطاق الكنيسة ، دون أن يهدم برجها اللومباردى ، أو جدرانها الخارجية ، أى أنه استغل الجدران القديمة وبابها الرئيسى وبرجها بعد أن انتزع منه النواقيس. غير أن ابنه وخليفته السلطان الملك الأشرف خليل حول البوابه القوطية الطراز ، التى تتوسط جدار الجامع الشمالى الى باب اسلامى الأسلوب (١) . والبوابة بصورتها الحالية على شكل عقد مدبب ، سنجاته يتناوب فيها اللونان الأبيض والأسود ، ويحتضن العقد صفان من دالات متصلة على شكل زجزاج ويبرز أعلى هذين الصفين عن الآخر . وأغلب الظن أنهما اسلاميان ، وذلك لشيوع هذا النوع من الزخرفة فى عمارة طرابلس الاسلامية . ويعلو الصف العلوى من هذين الصفين أفاريز منبعجة بارزة عددها ثلاثة تستند على أفريز أفقى يمتد على شكل رف ، تحت صفى الدالات من كلا جانبيهما : ويقوم هذا الافريز على عمودين صغيرين ، تاجاهما من الطراز القوطى (٢) .

هذا الاطار البارز ذو الطابع اللاتينى يحيط بباب اسلامى الطابع ، فان عقده المدبب يمتد جانباه الى أدنى البوابة بحيث يؤلفان عضادتى البوابة ، ويستمر تناوب اللونين الأسود والأبيض فى صفوف أحجاره . أما عتبه وهو قطعة واحدة من الحجر فيستند على مسندين محدبين ، وطبلة العقد يكسوها ملاط خشن المظهر ، تتوسطه زخرفة نباتية من العصر العثمانى مكتوب تحتها عبارة «لا إله الا الله محمد رسول الله» .

---

(١) Sobernheim, op. cit. p. 51.

يحتمل أن تكون هذه البوابة قد حملت من الكنيسة القديمة ووضعت فى مدخل المسجد كشاهد صدق على انتصار المسلمين ، كما فعل الأشرف خليل ببوابة كنيسة سان جان بعكا التى انتزعها من الكنيسة المذكورة وحملها الى القاهرة حيث نصبها أخوه الناصر محمد على بوابة مدرسته بالنحاسين

(٢) Sobernheim, op. cit. p. 51.

أما النقش التاريخي فسجل على لوحة من الخشب ، مثبتة على عتب الباب ، مساحتها ٢٥٠ × ٣٩ سم ٢ . ويتألف النقش من ثلاثة أسطر من الخط النسخي ، يفصل بين كل منها شريط . ويرجع هذا النقش الكتابي بناء الجامع الى الأشرف خليل سنة ٦٩٣ هـ(١٢٩٤م) أى بعد سقوط طرابلس فى يدى أبيه المنصور قلاوون بأربع سنوات (١) . ونقرأ فى هذا النقش النص التالى (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بانشاء هذا الجامع المبارك مولانا السلطان الأعظم ، سيد ملوك العرب والعجم ، فاتح الأمصار ، ومبيد الكفار ، الملك الأشرف ، صلاح الدنيا والدين خليل ، قسيم أمير المؤمنين ، ابن مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى خلد الله ملكه ، فى نيابة المقر العالى الأميرى الكبيرى العزى عز الدين أيبك الخزندار الأشرفى المنصورى نائب السلطنة بالفتوحات والسواحل المحروسة ، عفا الله عنه ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، والحمد لله وحده) (٢) وبأعلى العضادة اليسرى للباب ، وتحت نهاية النص السابق ، نقش تاريخى بالخط النسخي الصغير ، ومن نفس الأسلوب نصه : (تولا عمارة هذا الجامع المبارك العبد الفقير لله(٣)تعالى سالم الصهيونى ابن ناصر الدين العجمى عفا الله عنه) .

والجامع بناء اسلامى لا أثر فيه للتأثيرات المسيحية مما يدل على أنه بنى بناء جديداً وأنه لم يبن داخل كنيسة ، وتخطيط الجامع يتبع النظام القديم للمساجد الجامعة فيشتمل على ثلاث مجنبات تحيط بصحن مستطيل وعلى بيت للصلاة . وتعلو هذه المجنبات قبوات متعارضة ، وتطل المجنبات على الصحن بعقود منكسرة مثلثة الرؤوس تقوم على دعائم ضخمة مربعة القاعدة . وتتألف المجنبة الشمالية من سبعة عقود ، أما كل من المجنبتين الشرقية

---

(١) Max Van Berchem, et Edmond Fatio, Voyage en Syrie, dans, Mémoires de l'Institut français d'Archéologie orientale du Caire, t. XXXVII le Caire, 1914, p. 118.

(٢) أنظر : Sobernheim, op. cit. p. 52.

(٣) وردت فى نص سوبر نهايم « الى الله»

والغربية فمن خمسة عقود أكثر اتساعا من عقود المجنبة الشمالية . ومجنبات الصحن أقيمت في عهد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) في نيابة المقر السيفي كستاى الناصرى ، وعهد بأعمال البناء الى أحمد بن حسن البعلبكي . وقد سجل ذلك كله في لوحة مندمجة في الجدار الشمالى المطل على الصحن ، ونص الكتابة ما يلى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أمر بانشاء هذه الرواقات تكملة الجامع المبارك مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المظفر المنصور ناصر الدنيا والدين محمد ابن قلاوون خلد الله ملكه في نيابة المقر الشريف العالى السيفي كستاى (١) الناصرى كافل المملكة الشريفة الطرابلسية أعز الله أنصاره باشارة المقر العالى البدرى محمد ابن أبي بكر شاد الدواوين المعمورة أدام الله نعمته . وكان الفراغ منه في شهور سنة خمس عشر وسبعمائة وصلى الله على سيدنا محمد . تولا عمارته العبد الفقير الى الله تعالى أحمد ابن حسن البعلبكى) (٢) .

وواجهة بيت الصلاة تطل على الصحن بسبعة عقود أكثر اتساعا من عقود المجنبة الشمالية ويشتمل بيت الصلاة على بلاطين موازيين لجدار القبلة ، ينقسمان الى ١٤ أسطوان ، ويعلو كل أسطوان قبوة متعارضة فيما عدا أسطوان المحراب فتعلوه قبة على مقرنصات مقوسة . ويفصل البلاطين صف من الدعائم الضخمة عددها ستة ، ويستند العقد الأخير من الجهة الغربية على دعيمة ملتصقة بالجدار الغربى .

والى يمين المحراب منبر من الخشب يزدان بزخارف ملونة ، أقامه نائب طرابلس الأمير سيف الدين قرطاى بن عبد الله المنصورى المتوفى سنة ٧٣٤ هـ ويعلو مصراعى باب المنبر تحت صف المقرنصات الأعلى مباشرة نقش كتابى بالخط النسخى نصه (أمر بانشاء هذا المنبر المبارك

---

(١) سيف الدين كستاى تولى نيابة طرابلس من ٧١٥ الى ٧١٦ هـ

(٢) Sobernheim, op. cit. p. 53

العبد الفقير الى الله تعالى قرطاى بن عبد الله الناصرى أثابه الله ، فأقام به من ماله بكتوان بن عبد الله الشهابى ، تقبل الله منه ، وذلك فى شهر ذو القعدة سنة ستة وعشرين وسبعمية) (١) .

والمظهر العام للجامع لايدل على العناية بالبناء ، فجدران الجامع كلها مغطاه بطبقة بيضاء من الجير ، والمسجد كله عاطل من الزخرفة . ويتوسط الصحن بناء يتكرن من أسطوانين : الشمالى منهما تتوسطه نافورة للوضوء ، بأعلاها قبة . والجنوبى ينتهى بمحراب عليه لوحه رخامية نقش عليها النص التالى : (أمر بترخيم هذا المحراب المبارك العبد الفقير الى الله تعالى ، ازدمر الأشرفى ، كافل المملكة الشريفة الطرابلسية المحروسة أعز الله أنصاره فى أيام مولانا وسيدنا قاضى القضاة الشافعى الامام فى مستهل ربيع الآخرة سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة بمباشرة محمد الشاد) (٢) .

ويعلو المدخل الجنوبى الشرقى للمسجد لوحة عليها النص الآتى : (الحمد لله رسم بالأمر العالى السلطانى الملكى المؤيدى أبى النصر شيخ أعلاه الله تعالى وشرفه وأنفذه وصرفه بابطال المظالم المحدثات على أهل طرابلس من التحجير على قوت العباد من القمح واللحم والخبز والطرح وغير ذلك بحث لا يعود ، ويبطل ذلك جميعه فى هذه الأيام الزاهرة ، خلد الله سلطانها ، وأدام قدرته على المسلمين بتاريخ خامس عشر شهر ربيع الأول سنة سبعة عشر وثمانمائة والحمد لله) (٣) .

وعلى عتب العقد نصف الدائرى بالباب الشرقى للمسجد المؤدى الى الصحن نقش كتابى نصه (برسم الدخان ومايستأديه من يكون متكلما فى ديوان الحجوبية الكبرى واستادارية الديوان الديوان الشريف من سكر وخل وغير ذلك (٤) وباعفائها من ذلك جميعه ومن طرح الصابون والزيت

---

(١) أنظر : Sobernheim, op. cit. p. 55

(٢) نفس المرجع ص ٥٧

(٣) نفس المرجع ص ٥٦

(٤) خطأ فى الكتابة

والبلس ومن جميع ماحدث من ديوان النيابة والديوان الشريف وغيرها من جميع الكلف والخادم الجارية بها العادة قديما والحادثة مستقبلا ومنع خازندار الكافلى من التعرض الى ذالك ، وأخذ شيء منه ، واستقرارها فى حماية سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على حكم المربع الشريف وأن ينقش ذالك فى رخام جامع الكبير بطرابلس بأمر الكافلى المشار اليه بالمملكة الشريفة ، وأن يسطر ذلك بتاريخ ثانى شهر الله الحرام سنت (١) ثمان وتسعمائة والحمد لله) (٢) .

٢ – **مسجد عبد الواحد المكناسى :**

يعتبر من أقدم مساجد طرابلس فى عصر دولة المماليك البحرية ، وهو مسجد صغير يقع خلف سوق الصاغة بناه الشيخ عبد الواحد المكناسى أحد الأولياء الذين نزلوا مدينة طرابلس بعد أن حررها قلاوون من الصليبيين وكان مشهورا بالفضل والتقوى والزهد ، ويتميز هذا المسجد ببساطته التامة . وعقود بيت الصلاة فيه تقوم على دعائم ضخمة مربعة الشكل وهى أقرب الى عقود مساجد المغرب الاسلامى منها الى عقود مساجد سورية . ويتوسط صحن الجامع نافورة صغيرة يحيط بها حوض نقش بأعلاه النص الآتى : (أنشأ هذا المكان المبارك العبد الفقير الى الله تعالى عبد الواحد المكناسى غفر الله له ولوالديه ولمن كان السبب فيه ، وذلك فى تاريخ سنة خمس وسبعمائة) (٣) .

ويحيط بصحن المسجد ثلاث مجنبات تعلوها أسقف مائلة من الآجر على نحو النظام الشائع فى مساجد المغرب ، وتستند هذه الأسقف على أعمدة وأوتار من الخشب . وقبة المسجد مضلعة من الخارج ، وترتكز على رقبة من طابقين ، الأدنى منهما تنفتح فيه أربع نوافذ معقودة ، والأعلى مزود بثمان نوافذ . أما من الداخل فالقبة مفصصة من ١٦ فصاً ، وترتكز هذه

---

(١) خطأ فى الكتابة

(٢) Sobernheim, op. cit p. 59.

(٣) Sobernheim, op. cit. p. 85

الخوذة المفصصة على طابق مثمن فى أركانه الثمانية جرفات مثلثة مزدانة بمقرنصات ، والطابق الأدنى مربع فى أركانه جوفات مقوسة . وتذكرنا هذه القبة بصفة عامة بالقباب التونسية القديمة .

أما المئذنة فطابعها يختلف عن بقية مآذن طرابلس ، إذ تتكون من ساق مثمنة الشكل تنتهى من أعلى بقبة نصف كروية ، وينفتح فى جدران المئذنة من أعلى ثمان نوافذ .

٣ - مسجد الامير طينال :

يطلق عليه حالياً مسجد الأمير طيلان (١) ، وهو تحريف ظاهر من اسم طينال . ويعتبر هذا المسجد أهم مساجد طرابلس وأجملها على الاطلاق بعد المسجد الكبير ، وتذكرنا زخارفه وعناصره المعمارية بمساجد القاهرة أكثر مما تذكرنا بآثار دمشق . ويقع هذا الجامع بظاهر مدينة طرابلس ، قريباً من باب طيلان . وكان هذا المسجد فى الأصل كنيسة كرملية من عصر الصليبيين ، هجرت طويلا بعد أن استولى قلاوون على مدينة طرابلس سنة ٦٨٨ ه ، ثم استخدمها الأمير سيف الدين طينال الأشرفى الناصرى نائب طرابلس فى اقامة هذا المسجد سنة ٧٣٦ ه . وتاريخ انشاء هذا المسجد مسجل فى النقش الكتابى الذى يعلو باب المسجد ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بانشاء هذا الجامع المبارك المقر الأشرفى العالى المولوى الأميرى الناصرى نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة اتماما ، فى أيام الملك الناصر فى شهر رجب سنة ست وثلاثين وسبعمائة) (٢) .

وهناك نقش كتابى آخر بالقرب من النقش السابق ، عبارة عن وقفية سجل فيها اسم نائب السلطنة ثم حدود الوقفية .

---

(١) وقع ابن بطوطة فى نفس هذا الخطأ اذ سمى الأمير باسم طيلان الحاجب بدلا من طينال .

(٢) Sobernheim, op. cit. p. 87

والمسجد يتألف من قسمين منفصلين ، الشمالى منهما بيت للصلاة ، يشتمل على ثلاثة بلاطات الأوسط ، أفسح من البلاطين الجانبيين ، وينقسم هذا البلاط الأوسط الى اسطوانين تعلوهما قبتان .

أما القسم الجنوبى من المسجد فضريح دفن فيه طينال يشتمل على تسعة أساطين ، ويتوسط هذا الضريح قبة كبرى تقوم على رقبة مثمنة ، ويكتنف الضريح شرقا سلم وفى الجزء الشمالى قاعة جنائزية تحتوى على قبرين (١) .

ونلاحظ أن بالمسجد عمودين مركزيين يقوم عليهما عقدان من النوع الرابط الشائع فى العمائر القوطية ، ويغلب على الظن أن هذين العمودين وتاجيهما من الكنيسة القديمة ، ويعتقد الأستاذ ڤان برشم أنه لو صح ذلك أى أنه لو ثبت انتماء هذه الآثار الى الكنيسة لجاز تحديد الرواق الأوسط والرواقين الجانبيين لها ، وعندئذ تكون رأس الكنيسة مكان الضريح (٢) أما الأستاذ بروس كندى فيرى أن هذين العمودين والعمودين الآخرين اللذين تقوم عليهما القبة الجنوبية بالمسجد ، كانت مركز الكنيسة الكرملية القديمة لأن مجاز هذه الكنيسة كان يتجه من الشرق الى الغرب أى بعكس اتجاه البلاط الأوسط فى المسجد ، كما يرى احتمال كون الأسطوان الذى تعلوه القبة الشمالية بالمسجد جزءا من الرواق الشمالى للكنيسة ، بينما يرجح تهديم المهندس للرواق الجنوبى تمكينا لاقامة البوابة الفسخمة المؤدية الى ضريح سيف الدين طينال (٣) .

أما هذه البوابة الملتصقة بقاعدة القبة القبلية بالمسجد ، والمؤدية الى ضريح طينال ، فتعتبر من أجمل البوابات المملوكية ، وهى عبارة عن قطاع مستطيل الشكل مجوف ينتهى من أعلى بعقد منكسر ، ويشغل ركنى القطاع مقرنصان ينتهيان من أعلى — بعد أربع حطات متراكبة — بجوفة نصف كروية يحيط بها العقد المذكور . وتزدان واجهة البوابة بزخرفة تقوم على تناوب

---

(١) Van Berchem, op. cit. p. 120

(٢) Ibid. P. 120

(٣) Bruce Condé, op. cit. p. 48

مداميك الحجارة البيضاء مع المداميك السوداء ، ويحيط البوابة من أعلى ومن الجانبين إفريز من الدالات المتصلة على شكل زجزاج .

والمئذنة مربعة الشكل ، تزدان جرانها بعقود صماء ذات وسائد، وتمتاز هذه المئذنة بوجود درج مزدوج في الداخل(١) ، أحدهما يؤدى إلى خارج المسجد والآخر يفضى الى الداخل . وتنتهى المئذنة من أعلى بشرفة بارزة عن الجدار تنفتح فى كل وجه منها نافذة مستطيلة الشكل ، ويعلو الشرفة جوسق مستدير ويعتقد بعض الأثريين أن هذه المئذنة كانت فى الأصل برج الأجراس التابع للكنيسة الكرملية (٢) ، ومجموع القباب التى يضمها المسجد والضريح أربعة ، أصغرها قبة المحراب ، وهى قبة صغيرة متعددة الفصوص (٢٤ فصا) تقوم على قاعدة مربعة في أركانها جوفات مقوسة تؤلف حطة أولى من المقرنصات ، وتعلو هذه الجوفات حطة ثانية ثم تعلوها بدورها حطة ثالثة من المقرنصات المسطحة على شكل عقود متصلة يتخللها نوافذ . وللضريح منبر بأعلاه لوحة من الخشب نقش عليها بالخط النسخى النص الآتى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ، فعسى أولائك أن يكونوا من المهتدين ، تكمل هذه منبر فى شهر ذى القعدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة) (٣) . وفى أدنى المنبر بأعلى الباب سطر من الكتابة النسخية نصه (عمل المعلم محمد الصفدى رحم الله من ترحم عليه) .

٤ — مسجد العطار :

يقع هذا المسجد فى قلب مدينة طرابلس على الضفة اليسرى من نهر قاديشا ، بالقرب من خان المصريين وخان الخياطين فى شارع سوق الصاغة أهم شوارع المدينة . ويعتبر هذا المسجد ثالث مساجد طرابلس أهمية ، أسسه أحد العطارين الأثرياء سنة ٧٥١ هـ على نفقته الخاصة ولذلك نسب اليه ،

(١) محمد كرد على ، خطط الشام ، ج ٦ ، دمشق ١٩٢٨ ص ٥٣

(٢) Bruce Condé, op. cit. p. 50

(٣) Sobernheim, op. cit. p. 93.

وجعل له أربع صففف ، «كل صفة لها مدرس له معلوم يتناوله من وقف الجامع »(١) . وتاريخ انشاء هذا الجامع مسجل بأعلى عتب المدخل فى لوحة نصها : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا الباب المبارك والمنبر عمل المعلم محمد ابن ابراهيم المهندس سنة أحد وخمسين وسبعمائة) (٢) .

وبوابة هذا المسجد تشبه فى زخارفها بوابة المدرسة القرطائية المجاورة للجامع الكبير ، فهى عبارة عن قطاع مفرغ مستطيل الشكل تعلوه حنية نصف كروية قائمة على أربع حطات من المقرنصات الشائعة فى مبانى المماليك . ويتوسط الراجهة فيما بين عتب الباب والمقرنصات تربيعة الفسيفساء فى وسطها جامة تحتشد حولها تكوينات هندسية من فروع متقاطعة ومجدولة تتخللها زهرة الزنبق . وعتب الباب مؤلف من سنجات على شكل زهرة الزنبق ، يتناوب فيها اللونان الأبيض والأسود ، على مثال سنجات سائر الآثار المملوكية بطرابلس . أما المئذنة فتعتبر من أفخم مآذن طرابلس فى عصر المماليك ، فهى برج مربع الشكل يدور حوله عند منتصفه افريز أفقى بارز ومسطح ، وتنتهى المئذنة من أعلى بشرفة مكعبة الشكل بارزة عن بناء برج المئذنة ، وترتكز هذه الشرفة على صف من المقرنصات الجميلة ، القائمة على أربعة أعمدة فى الأركان ، تيجانها من النوع الاسلامى المقرنص . ويتوسط كل وجه من وجوه الشرفة العليا نافذة توأمية يقوم عقداها على عمود مركزى مشترك . ويتوج هذا الطابق جوسق مثمن الشكل يكتنفه فى الأركان الاربعة قبيبات زخرفية جميلة . وينتهى الجوسق من أعلاه بغطاء مخروطى .

وعلى الجدار الواقع يمين فتحة الباب نقش ، مسجل فيه مرسوم ، أصدره السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢١ هـ .

٥ ـ مسجد الدباغين :

هو مسجد صغير يقع على الضفة اليسرى من نهر قاديشا بجوار الجسر الجديد ، ويتميز هذا المسجد بمئذنته المثمنة التى تنتهى من أعلى بالطابق المربع

---

(١) عبد الغنى النابلسى ، الرحلة الطرابلسية ، عن سوبرنهايم ص ١٠٤

(٢) Sobernheim, op. cit. p. 105

البارز ، وبقبته المضلعة . ويعلو مدخل هذا المسجد لوحتان من الحجر عليهما نقش كتابى عبارة عن مرسوم صادر من السلطان قايتباى فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٨٨٢ ﻫ (١٤٤٧ م) عند زيارته لطرابلس قادما من بعلبك ، يأمر فيه بابطال المكوس المفروضة على جماعة الدباغين (١) . ولقد جدد هذا المسجد سنة ٩١٢ ﻫ فى عهد السلطان قانصوه الغورى ، جدده شيخ الدباغين بطرابلس

٦ - زاوية أرغون شاه :

يطلق عليها أهل طرابلس زاوية الغنشا ، ويقع قريبا من المدرسة السقرقية والخاتونية فى الطرف الغربى من طرابلس . ولا نعرف تاريخ بناء هذا المسجد على وجه التحديد ، ولكن أسلوب البناء يدل على أنه أقيم قرب نهاية دولة المماليك الشراكسة ، أى فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى . ونلاحظ فى مئذنة هذا المسجد بدء ظهور التأثيرات المعمارية التركية ، فهى مئذنة أسطوانية الشكل تنتهى فى أعلاها بست حطات من المقرنصات تحمل شرفة ذات عشرة ضلوع تزدان بزخارف هندسية وتوريقات رائعة . وتختلف كل حشرة عن غيرها فى هذه الضلوع العشرة للشرفة . وعلى مدخل هذا المسجد نقش كتابى يتضمن مرسوما صادرا من السلطان قايتباى فى ١٥ جمادى الآخرة سنة ٨٨٠ ﻫ (١١ أكتوبر سنة ١٤٧٥ م) فى نيابة أزدمر الأشرفى ، يأمر فيه بحماية زراع أراضى الوقف للمسجد المذكور وتسليمها الى السيد نور الدين الأدهمى الحسينى . وقد جدد بناء هذا المسجد بعد أن تهدم الجانب الجنوبى منه ، ولكن هذا التجديد لم يمس الواجهة الشرقية على الاطلاق .

٧ - مسجد الأويسة :

يقع بالقرب من مسجد عبد الواحد المكناسى ، بناه عبد الحى الأويسى سنة ٨٦٥ ﻫ ويتميز هذا المسجد بقبته الوسطى الكبرى التى تمهد لظهور

---

(١) ارجع الى نص هذا النقش فى كتاب Sobernheim, op. cit. p. 131

القباب التركية .. وقد جددت مئذنة هذا المسجد فى عهد السلطان العثمانى سليمان القانونى سنة ٩٤١ هـ (١) .

(ب) المدارس :

١ ـ المدرسة القرطائية :

يحيط بالمسجد الجامع المنصورى عدد من المدارس المملوكية لا يقل عددها عن ست مدارس أهمها وأجملها المدرسة القرطائية ، أما الخمسة الأخرى فمجتمعة حول البوابة الشمالية للجامع المذكور باستثناء المدرسة النورية التى تقع على مسافة قصيرة شرقى المسجد .

وتعتبر المدرسة القرطائية أهم آثار طرابلس الاسلامية على الإطلاق ، وتقع لصق الجامع الكبير من الجهة الجنوبية الشرقية . وينسب بناؤها الى الأمير سيف الدين قرطاى بن عبد الله الناصرى الذى أقام منبر الجامع الكبير سنة ٧٢٦ هـ ، على الرغم من اختفاء الكتابة التاريخية التى كانت محفورة على جدارها القبلى (٢) .

وينكر الأستاذ سوبرنهايم وجود آثار لهذه المدرسة فى الوقت الحاضر فيقول « L'école qu'il y a fondée n'existe plus »(٣) ويسمى البناء القائم لصق الجدار الشرقى للجامع المنصورى بالمدرسة الشمسية (٤) ، ويخلط بين هذه المدرسة والمدرسة القرطائية ، اذ ينسب الى المدرسة الشمسية المنشورات والمراسيم السلطانية المنقوشة على الجدار القبلى للمدرسة القرطائية .

---

(١) الى جانب المساجد المذكورة يوجد عدد كبير من المساجد التى أقيمت فى أواخر عصر دولة المماليك الشراكسة وأهمها مسجد التوبة الذى أقيم فى هذا العصر وجدد فى عهد السلطان العثمانى أحمد الأول سنة ١٠٢١ هـ ، ويمتاز بقبته المفصصة ، ومنها مسجد الطام الذى أقيم على ما يظهر فى أوائل القرن العاشر الهجرى ، وتاريخ بنائه غير معروف على وجه الدقة ، ومنها المسجد المعلق الذى أقيم فى عصر السلطان سليمان القانونى سنة ٩٦٧

(٢) محمد كرد على خطط الشام ج ٦ ص ١٢٨

(٣) Sobernheim, op. cit p. 55

(٤) نفس المرجع ص ٦١ — ٦٢

والواقع أن المدرسة المسماة بالشمسية هى التى تقع الى يسار الداخل الى المسجد الكبير ، وتعتبر من ملحقات هذا الجامع ، وإن كانت قد أقيمت ضريحا لمنشئها شمس الدين المولوى ، سنة ٧٤٩ ﻫ (١٣٤٩ م) تقريباً ، ولهذه المدرسة منظرة تطل على المدخل الى الجامع المنصورى الكبير ، يعلوها عقد ذو وسائد متصلة ، وقد رأينا مثل هذا العقد فى مئذنة جامع سيف الدين طينال بطرابلس ، وفى مصر نماذج من هذه العقود نراها ممثلة فى أحد عقود بوابة الفتوح بالقاهرة وفى عقد مدخل مسجد الظاهر بيبرس وفى عقد مدخل خانقاه بيبرس الجاشنكير وفى نافذة مئذنة سنجر الجاولى كما نجدها أيضا فى أحد العقود المنسوبة إلى الظاهر بيبرس بقلعة صيدا البحرية ، وهناك من الأثريين من يرجع هذا النوع من العقود الى الصليبيين (١)، وهو افتراء واضح .

ومدخل هذه المدرسة الشمسية سد بالبناء واتخذت فيها مخازن ومرافق أخرى ، ولم يتبق من واجهتها سوى النافذة المعقودة ذات الوسائد التى تحدثنا عنها .

ونعود مرة ثانية الى الحديث عن المدرسة القرطائية ، وبوابتها تعتبر من أروع أمثلة البوابات المملوكية ، اذ تنطق خطوطها بما تتميز به من جمال ودقة لا نظير لها ، فهى حلقة متصلة متزنة الأجزاء ، وتعبر عن ايقاع وتوازن . ويتوسط عتب الباب لوحة عليها نقش كتابى نصه (بسم الله الرحمن الرحيم ، ان المتقين فى جنات وعيون ، أدخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) (٢) .

ويعلو هذا الباب عقد مخفف للضغط تتعاشق فيه سنجات من الرخام سوداء وبيضاء على التعاقب . ويعلو هذا العقد تربيعة من الفسيفساء تتوسطها جامة سوداء تخرج منها أشرطة أربعة مجدولة ، تمتد حول التربيعة . ثم يعلو ذلك ثلاثة طوابق من المقرنصات ، تنتهى من أعلى بجوفة نصف كروية عقدها

---

(١) تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان ص١٥ ، Bruce Condé op, cit. p. 34,49

(٢) لم يرد هذا النص بين النصوص التى نشرها سوبرنهايم فى كتابه عن نقوش طرابلس .

منكسر ، يحيط بها عقد بارز يدور به صفان من دالات متصلة على شكل زجزاج . وعلى جانبي المدخل عمودان يعتقد الأستاذ بروس كندى أنهما من النوع الافرنجى (١) ، وينفتح فى الجدار الشمالى للمدرسة نوافذ ، تكسوها زخارف متشابكة . أما محراب المدرسة فينطق بوضوح عن الفكرة الزخرفية والهندسية التى طبقها المهندس ، اذ يعبر عن تناسق تام فى تكوين العناصر الزخرفية بما يحتويه من فسيفساء ملونة . ويكسو النصف الأدنى من جدار المحراب وزرات من الرخام الملون ، وأرضية المدرسة من الفسيفساء الملون تؤلف تكوينات هندسية رائعة تشبه الى حد كبير الفسيفساء التى تكسو صحن جامع السلطان حسن بالقاهرة وغيره من المساجد والمدارس المملوكية .

وتنقسم المدرسة من حيث التصميم الى قسمين : الرواق الشمالى وأرضيته أقل ارتفاعا من أرضية المصلى . ويتوسط هذا الرواق الشمالى حوض مربع ، يقابل مدخل المدرسة ، بداخله نافورة . ويحيط بالحوض قناة تجرى فيها المياه الجارية من الحوض ، وبأعلى هذا الحوض قبة . أما الرواق الآخر فتعلوه أمام المحراب قبة قائمة على مقرنصات مثلثة ، وتنفتح فى الجدار القبلى أربع نوافذ مشبكة ، عتب كل منها من الخارج يحتوى على ثلاث لوحات ، تحتشد فيها زخارف هندسية بارزة بروزا طفيفا ، ويعلو الأعتاب عقود مخففة للضغط سنجاتها متعاشقة سوداء وبيضاء على التعاقب . وطبلات هذه العقود تزخر بالكتابات القرآنية . وتتصل المدرسة القرطائية بالجامع الكبير عن طريق قنطرة سقفها معقود بقبوات متعارضة ، ويعلو مدخل الباب المؤدى للجامع نافذتان مرتفعتان وظيفتهما ادخال الضوء الى الطريق الضيق الواقع خلف المدرسة . ويزدان الجدار القبلى للمدرسة بمراسيم سلطانية محفورة فى لوحات مرصعة فى الجدران ، أولها نقش كتابى يقع بين النافذة الأولى والثانية من هذا الجدار . وهو عبارة عن مرسوم أصدره الأشرف برسباى فى مستهل رمضان سنة ٨٢٦ هـ يأمر فيه بابطال المكوس الخاصة بخيل البريد . والمنشور الثانى منقوش على لوح حجرى يرصع جدار بيت حديث البناء ، قبالة مدخل

---

(١) Bruce Condé, op. cit. p. 38.

الجامع من الجهة الشرقية ، وهو مرسوم صادر من ديوان الجيوش بتاريخ مستهل شعبان ٨٥١ هـ ، بابطال الضرائب المفروضة على الثياب والدخان . وهناك غير هذين النقشين نقوش أخرى كثيرة يكتظ بها الجدار القبلى للمدرسة القرطائية ، نشرها الأستاذ سوبرنهايم (١) .

٢ ـ المدارس المحيطة بالجامع :

ذكرنا فيما سبق أنه يحيط بالجامع المنصورى ست مدارس ، وقد تحدثنا عن مدرستين احداهما القرطائية والثانية الشمسية . والمدرسة الثالثة تقع الى يمين الداخل الى الجامع المنصورى من جهة الشمال ، وهى مدرسة مجهولة الاسم ولكن أسلوب بنائها يبين أنها من مدارس عصر دولة المماليك الشراكسة وواجهة المدخل عبارة عن قطاع فسيح مجوف على شكل مستطيل ينتهى من أعلى بجوفة مقوسة مكسرة بالفسيفساء الرخامية الملونة ، وتزدان بزخرفة هندسية أساسها نجمة ذات عشرة رؤوس ، تتشعع من رؤوسها خطوط متقاطعة فيما بينها ، وهذه الزخرفة تشبه الجوفات التى تعلو محاريب المساجد المملوكية . وتقوم هذه الجوفة على مقرنصات غاية فى الروعة والجمال ، ويعلو البوابة افريز أفقى من دالات متصلة على شكل زجزاج بارز يحيط بها من أعلى ، ثم يدور على جانبى البوابة الى أن يصل الى الأرض . ويسود الواجهة مظهر زخرفى بسيط ناشىء من تناوب المداميك السوداء مع المداميك البيضاء (٢) .

ومن بين المدارس الثلاثة الأخرى المحيطة بالجامع الكبير مدرستان تقعان قبالة الباب الشمالى للجامع المنصورى على الصف الأيسر من الطريق ، الشرقية منهما هى المدرسة الناصرية ، وهى مدرسة صغيرة نسبياً ، وبوابتها قطاع مستطيل مفرغ فى الجدار ، ينتهى من أعلى بجوفة مقوسة نصف كروية عاطلة من الزخرفة ، تقوم على صف من المقرنصات ، تحته دائرة مستديرة

(١) Sobernheim, op. cit p. 62-69

(٢) Bruce Condé, op. cit. p. 44.

بداخلها نقش كتابى نصه (عز لمولانا السلطان الملك الناصر) ، وتزدان الواجهة بافريز بارز من الدالات المتصلة كما تزدان بالمداميك الملونة وتاريخ بناء هذه المدرسة يتراوح بين عامى ٦٩٣ و ٧٤١ هـ (١٢٩٣ — ١٣٤٠ م) .

أما المدرسة المجاورة لها من الغرب فهى المعروفة بمدرسة الخيرية حسن ، وقد أخطأ سوبرنهايم فى تحديد موقعها على خريطته (١) . ويرجع تاريخ بنائها الى أوائل القرن الثامن الهجرى (بعد سنة ٧٠٩ هـ). وبوابتها عبارة عن قطاع مستطيل الشكل مجوف ، ينتهى من أعلى بعقد منكسر يتناوب فى سنجاته المتعاشقة اللون الأبيض والأسود . ويحيط بالبوابة من أعلى ومن الجانبين حتى مستوى الأرض افريز من الزخرفة على شكل مقرنصات مسطحة متصلة ، ويتوسط كل من الجدار الأيمن والأيسر للبوابة نافذتان ، عقداهما نصف دائريان ، يتناوب فى سنجاتهما اللونان التقليديان الأبيض والأسود ويتوسط البوابة ، بين العقد والباب ، لوحة مربعة مسجل عليها وقفية نصها (بسم الله الرحمن الرحيم ، وقفت جهة المرحوم قطلو المصبنة والمعصرة والربع فوق المعصرة ، وخمس قراريط وربع بطاحون الداودية والسندمرية ، بأرض كفر قاهل ، والبستان ظاهر طرابلس وثلاث قراريط ونصف بسوق أسندمر ، وثلث الدير يعرف بأرض أصنرن ، ومسكبة زيتون والقاعة والحجرة والطبقة جوار المدرسة ونصف طاحون الجديدة بعردات ، وكرم زيتون فى بطرام ، وطبقة ومخزن بقيسارية الأفرنج) (٢) .

أما المدرسة السادسة من مجموعة مدارس الجامع فهى المدرسة النورية ، وتقع شرقى المدرسة الناصرية على الناصية الأخرى من الشارع المؤدى الى السوق الرئيسى بطرابلس ، أسسها نائب طرابلس الأمير نور الدين سنة ٧٣٣هـ وبوابة هذه المدرسة من أجمل بوابات المدارس المملوكية فى طرابلس .

---

(١) Sobernheim, op. cit. p. 37.

(٢) نفس المرجع ص ١٣٦

٣ — المدرسة البرطاسية :

تقع على الضفة اليسرى من نهر قاديشا بالقرب من الجسر العتيق ، واسم منشىء هذه المدرسة مسجل على شريط من الكتابة النسخية يقطع واجهة المدرسة أفقيا ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ونصف . ويمتد هذا الشريط فى مدماك قائم بذاته من يمين القطاع المجوف للبوابة الى يساره . ونقرأ فى هذا الشريط النص الآتى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، أوقف هذه المدرسة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى عيسى بن عمر البرطاسى عفا الله عنه ، على المشتغلين بالعلم الشريف على مذهب الامام الشافعى ، واقامة الجمع والصلوات المكتوبة ، وشرط أن لا يرسم فيها على أحد ولا يسكنه من لا له (الحق فى ذلك) (١) . وأما تاريخ الانشاء فلم يرد ذكره ، ويظهر من أسلوب بنائها وزخارفها أنها أقيمت فى أواخر عصر دولة المماليك البحرية .

وأهم ما تتميز به هذه المدرسة واجهتها المبنية بحجارة داكنة اللون ، والحرفة العليا القائمة على المقرنصات والتى تعد من أجمل ما أبدعه الفنانون فى عصر المماليك . ونلاحظ التشابه الكبير بين هذه الواجهة وواجهة المدرسة القرطائية . ويعلو العتب أربع حشوات من الزخرفة الهندسية القائمة على الخطوط المتقاطعة فى زوايا قائمة . ويبدو أن المدرسة كانت قد تعرضت لأضرار جسيمة بسبب سيل جارف حدث سنة ١٩٥٥ . وطغى على طابقها الثانى وقد قامت ادارة الآثار اللبنانية بترميمها تحت اشراف الأمير موريس شهاب . وتمتاز المدرسة بقبابها الثلاثة نصف الكروية ، وأهمها القبة الوسطى القائمة على جوفات مثلثة تغطيها ست حطات من المقرنصات . ويغلب على الظن أن هذه القبة أضيفت فى أواخر عصر دولة المماليك الشراكسة لشبهها الكبير بالقباب العثمانية . ومحراب المدرسة يعتبر أجمل محاريب المدارس المملوكية فى لبنان على الاطلاق ، اذ تكسوه فسيفساء مذهبة قائمة على تكوينات زخرفية من العناصر النباتية والهندسية ذات لون فيروزى على أرضية مذهبة (٢) والمئذنة مربعة الشكل شأنها فى ذلك شأن المآذن الطرابلسية التى ترجع الى عصر

---

(١) نفس المرجع ص ١٣٨

(٢) Bruce Condé, op. cit p. 124

المماليك . وتزدان واجهتها الغربية بنافذة توأمية ذات عقدين متجاوزين منكسرين عند الرأس ، يستند جانبهما المشترك على منكب قائم على عمود صغير ، وتتناوب فى هذين العقدين السنجات البيضاء والسوداء ، ويذكرنا هذان العقدان بالعقود الخلافية بقرطبة وطليطلة . ويحيط بالعقدين اطار مستطيل يحصر النافذة فى نطاق غائر . ويغلب على الظن أن مهندس هذه المئذنة أندلسى الأصل ، هاجر من مسقط رأسه الى طرابلس وساهم فى بناء آثارها ، وسجل أصله الأندلسى المغربى على زخرفة هذين العقدين التوأمين ، اذ جمع فيهما بين التقاليد الأموية الأندلسية الشائعة فى الأندلس وهى العقود المتجاوزة والتى تشبه حدوة الفرس والتى تتناوب فيها السنجات الملونة ، وبين التقاليد المغربية الشائعة فى الطراز الموحدى ، وقوامها العقود المتجاوزة المنكسرة والنوافذ التوءمية التى تحيط بها طرر مستطيلة غائرة فى البناء . والواقع أن عصر المماليك هو العصر الذى تسربت فيه التأثيرات الأندلسية الى مصر والشام ذلك لأنه العصر الذى توثقت فيه عرى الصداقة بين دولة المماليك فى مصر ودول أسبانيا المسيحية ، على أثر انتصار المماليك على التتار فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ ، وانتصار الاشرف خليل على بقايا الصليبيين فى الشام وطرده لهم منها الى قبرص وردوس ، وقد أكسب هذان الانتصاران سلاطين مصر هيبة دول أوربا واسبانيا بالذات ، وهنا بدأت علاقات الصداقة بين مصر وأسبانيا تعمل عملها ، فقد تبادلت الدولتان السفارات والرسائل الودية والهدايا السنية . كذلك كانت العلاقة طيبة بين ملوك بنى الأحمر بغرناطة وسلاطين مصر ، وكان من نتائج ذلك أن زار بلاد الشام ومصر عدد كبير من أهل غرناطة سواء للتعلم أو للتدريس ، وقد أقام فيها من طابت له الاقامة ، ومن أمثال هؤلاء عبد الواحد المكناسى الذى أقام مسجدا بطرابلس ، وسيدى أحمد بن عمر أبو العباس المرسى نزيل الاسكندرية وغيرهما . وكان لهذه العلاقات أثرها الكبير فى نفاذ التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية والشامية فى عصر المماليك (١) . وسنرى فى طرابلس تأثيرا أندلسيا ثالثا فى المدرسة المعروفة بالطريشية .

---

(١) أنظر مقالى : بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الاسلامية ، المجلة العدد ١٢ ، ديسمبر ١٩٥٧ ، ص ٨٨ — ٩٩ وكتابى : المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٩ — ٣١

٤ — المدرسة الزريقية :

تقع على الضفة اليمنى من نهر قاديشا ، وتعتبر أقدم مدارس طرابلس اذ أنشأها الأمير عز الدين أيبك الموصلي لتكون مسجدا سنة ٦٩٧ ﻫ (١٢٩٨ م) ، وتاريخ الانشاء مسجل على لوحة فى جدار المدرسة الواقع على يمين المدخل ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم ، أنشأ هذا المسجد المبارك ، الفقير الى الله أيبك الموصلي . عفا الله عنه فى تاريخ عشرين جمادى الآخر سنة سبع وتسعين وستمائة) . وأيبك (١) المذكور تولى نيابة طرابلس من ٦٩٤ ﻫ الى تاريخ وفاته سنة ٦٩٨ ﻫ . ثم أضيف الى هذا المسجد مصلى صغير المساحة سنة ٧٣٨ ﻫ (١٣٣٨ م) وسجل هذا الانشاء على طبلة عقد المدخل بأعلى عتب الباب مباشرة ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم أمر بانشاء هذه الزاوية المباركة العبد الفقير الى الله تعالى سيف الدين كرتاى السيفى ، وذلك فى تاريخ شهر شوال سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة) ونلاحظ أن عتب الباب يزدان بثلاث حشرات مكسوة بتكوينات هندسية ، والحشوة الوسطى أصغر من الحشوتين الأخرتين وبوابة المدرسة الزريقية قطاع مستطيل مجوف ينتهى من أعلى بجوفة نصف كروية قائمة على مقرنصين مثلثين ، وعقد البوابة يندمج منبتاه فى مداميك عضادتى البوابة ، وهى عاطلة تماما من الزخرفة باستثناء زخرفة عتب الباب . ويزعم الأستاذ بروس كندى أن هذه البوابة صليبية الطراز (٢) .

٥ — المدرسة السقرقية :

وتقع فى طرف المدينة الجنوبى الغربى ، بالقرب من مسجد أرغون شاه بناها الأمير سيف الدين أقطرق ، حاجب نيابة طرابلس لتكون مسجدا وضريحا وذلك سنة ٧٦٠ ﻫ (١٣٥٩ م). وتاريخ انشاء المدرسة مسجل على جدار واجهتها الجنوبية الشرقية فى شريط يمتد على كل من جانبى البوابة

---

(١) Sobernheim, op. cit. p. 83

(٢) Bruce Condé, op. cit. p. 118

ويتضمن هذا الشريط الكتابى تاريخ البناء ، والعقارات الموقوفة عليها ، ونلاحظ أنه يتوسط كل زوج من نوافذ الواجهة تحت صف الكتابة مباشرة رنك المنشىء وهو عبارة عن دائرة يتوسطها حزام أفقى بداخله سيف يتجه من أعلى الجانب الأيسر الى أدنى الجانب الأيمن . وتكسو عتبات النوافذ زخارف هندسية من النوع الشائع فى العصر التركى . ويعلو الضريح قبة مضلعة غاية فى الجمال ، تقوم على رقبة مثمنة قائمة بدورها على قاعة مربعة فى أركانها جوفات مقوسة مزينة بزخارف نباتية قوامها المراوح النخيلية ، ويتدلى تحت كل جوفة مقرنصات من ثلاث حطات .

٦ — المدرسة الخاتونية :

تقع وجها لوجه أمام المدرسة السقرقية ، بنتها أرغون خاتون بالاشتراك مع زوجها عز الدين أيدمر الأشرفى نائب طرابلس سنة ٧٧٥ هـ . وتاريخ انشاء هذه المدرسة وأسماء العقارات الموقوفة وشروط السيدة الواقفة مسجلة جميعاً بأعلى المدخل ، ونص النقش ما يلى : (بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد أنشأ هذا المكان المبارك مولانا المقر الأشرفى العالى المولوى المخدومى الكافلى العزى أيدمر الأشرفى ملك الأمراء أعز الله أنصاره فى شركة آدره الكريمة الجهة ، المصونة ، أرغون تغمدها الله برحمته حسب وصيتها المتقدمة ..) ويلى ذلك الرقفية وتاريخها ٢٣ شعبان سنة ٧٧٣ هـ ثم اسم متولى البناء الأمير جمال الدين يوسف ابن العزى غزان السيفى ، ثم تاريخ الفراغ من البناء سنة ٧٧٥ هـ (١) . وعز الدين أيدمر المذكور هو أيدمر بن عبد الله الأنوكى الدوادار نائب طرابلس فيما بين ٧٧٣ هـ ، ٧٧٦ هـ . وعلى الرغم من تآكل كسوة جدران المدرسة فاننا نشاهد رنك الكأس على جانبى عتب النافذة .

٧ — المدرسة الظاهرية :

هى مدرسة صغيرة بباب الحديد جنوب غربى المدرسة البرطاسية ، وسميت بالظاهرية لأن الذى بناها هو الأمير سيف الدين تغرى برمش

(١) Sobernheim, op. cit. p. 116

الظاهرى بن أحمد البهنسى التركمانى الامير أخور الكبير فى عهد السلطان الظاهر برقوق ، لدفن ولديه سنة ٧٩٩ هـ (١٣٩٦ م) . ومدخل المدرسة مسدود اليوم ، ولكن الواجهة بكتابتها النسخية ماتزال ظاهرة . وتاريخ انشاء المدرسة مسجل على عتب المدخل فى خمسة أسطر من الكتابة النسخية ونص الكتابة ما يلى : (بسم الله الرحمن الرحيم ، المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا . قوله الحق وله الملك . عمر هذا المكان المبارك المقر السيفى تغرى برمش الظاهرى أعز الله أنصاره مسجدا لله تعالى وتربة لدفن ولديه الأخوين الشقيقين السعيدين الشهيدين سيدى الأمير قانتمر وسيدى أمير تغرى بردى الطفلين المنغصين (١) على الدنيا ، المتحابين فى دار الدنيا ، والمجاور (٢) والمجاورين فى دار الآخرة تغمدهما الله برحمته ، وأسكنهما فسيح جنته ، وجمع بينهما وبين والديهما فى دار كرامة ، وذلك فى ثالث شهر الله المحرم سنه تسع وتسعين وسبعمائة . رحم الله من ترحم عليهما) (٣) ونلاحظ فى أول السطر الخامس نقش يمثل رنك الساقى وهو عبارة عن صورة كأسين محفورين فى ثلثى الرنك .

وبالمدرسة محراب ، الجزء الأدنى من جوفته مغطى بأشرطة رأسية من الرخام الملون بينما تكسو الحنية العليا زخرفة من الفسيفساء قوامها الفروع المتداخلة .

ويمكننا أن نميز فيها اللون الأحمر والأبيض والفيروزى والأسود ويقوم عقد المحراب على عمودين ، يزدان بدناهما بقنوات معصورة .

٨ — **المدرسة الطويشية :**

تقع بالقرب من منطقة الجامع الكبير ، وتشتمل على ضريح مؤسسها الأمير سيف الدين الطويشى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ (١٤٧١ م) . وتمتاز هذه المدرسة بظاهرتين :

---

(١) قرأها سوبرنهايم « المتعصبين » .

(٢) كلمة زائدة لم يكملها الخطاط لانتهاء السطر فأعاد كتابتها فى السطر الجديد .

(٣) Sobernheim, op. cit. p. 122.

١ — البوابة الرائعة التى تعرض مثالا من أروع أمثلة المقرنصات المملوكية ، وبأعلاها جوفة نصف كروية على شكل محارة تحتشد فيها زخرفة مشععة فى أربع مجموعات . وعقد البوابة من النوع المفصص بفصوص نصف دائرية وأخرى مثلثة صغيرة على التعاقب ، على النحو الذى نشاهده فى العقود الأندلسية المغربية فى عصر الموحدين ، مما يجعلنا نرجح تسلل بعض التأثيرات المغربية الأندلسية الى عمائر المماليك فى بلاد الشام .

ويحيط بالبوابة اطار بارز على شكل مستطيل يتوج أعلى العقد ، ثم يمتد طرفاه أفقيا بطول جدار الراجهة يمينا ويسارا .

٢ — النافذة ذات العقد المزدوج بالطابق الثانى (على يسار الواجهة) ، فعقدا هذه النافذة مفصصان ينتهيان من أعلى بجوفتين نصف كرويتين تكسوها زخرفة على شكل محارة ، ويحيط بهما اطار مستطيل الشكل . ويرتكز العقدان من الجانبين على عمودين بهما قنوات معصورة ويذكرنا العقدان بالعقود الأندلسية .

أما قبة الضريح فهى مفصصة (متعددة الفصوص) ، يتناوب فى محيط قاعدتها الفصوص نصف الدائرية والفصوص المثلثة .

٩ — المدرسة العجمية :

تقع بالقرب من قلعة صنجيل ، أسسها هى والتربة الملحقة بها الحاج شمس الدين محمد السكر فى رمضان سنة ٧٦٦ هـ . واسم هذا الرجل نراه مسجلا على منبر بمدينة دمياط سنة ٧٧١ هـ . وتاريخ المدرسة العجمية مسجل على عتب مدخلها ، ونصه : (أمر بانشاء هذه التربة المباركة العبد الفقير الى الله تعالى محمد السكر عفا الله عنه . وكان الفراغ منها فى مستهل رمضان سنة ست وستين وسبعمائة) .

***

وهناك مدارس أخرى عديدة بعضها مجهول الاسم والتاريخ والبعض متخرب والبعض الآخر من عصرر متأخرة . من أمثال هذه المدارس : المدرسة القادرية ، والمدرسة الرفاعية ، والمدرسة العمرية ، ومدرسة الشيخ الوطار .. الخ .ويمكننا أن نضيف الى هذه المدارس خانقاه من عصر دولة المماليك الشراكسة يرجع تاريخ بنائها الى سنة ١٤٦٧ .

(ج) العمائر الحربية :

عندما استولى السلطان المنصور قلاوون على طرابلس الميناء ، هدم أسوارها المنيعة ، وسوى المدينة بالأرض ، ونقل موضع طرابلس الى المحلة اللاتينية المسورة ، التى تبتدئ من جامع التوبة قرب جسر اللحامة ، وتضم سوق حراج والملاحة وسوق البازركان وسوق الصاغة وسوق العطارين ثم ساحة الجامع الكبير بمدارسه ، ومحلة قبوة الطرطوس تجاه بوابة الحدادين (١) .

وكان يحيط بهذه المحلة سور من بناء الصليبيين يمتد محيطه من الشمال الشرقى الى الجنوب الغربى ، بامتداد نهر أبى على وكان ينفتح فيه أبواب منها باب بيروت والباب الأحمر فى الجنوب الغربى من المدينة وباب المسلح بجوار الجسر العتيق ويبدو أن سور هذه المحلة أصيب بأجزاء جسيمة أو تهدم بتأثير الزلازل وحصار القوات الاسلامية ، لأن ابن تغرى بردى يؤكد أن مدينة طرابلس التى أقامها قلاوون كانت بلا سور (٢) ، ولعل قلاوون اكتفى بقلعة صنجيل وبالابراج القائمة على الميناء للدفاع عن المدينة . ويذكر الشيخ كامل البابا أنه لم يتبق من سور طرابلس وأبوابها الا بقايا باب المسلح فى سوق الحراج (٣) وأهم آثار طرابلس الحربية الباقية ، القلعة المعروفة بقلعة صنجيل وأربع أبراج على الميناء .

---

(١) الشيخ كامل البابا ، من آثار التاريخ الطرابلسى ، حديث مجلة الارشاد الاجتماعى ص ٨

(٢) ابن تغرى بردى ح ٧ ص ٣٢٢

(٣) الشيخ كامل البابا ، المرجع السابق ص ٩

١ — **قلعة صنجيل :**

تقع بأعلى تل الحجاج ، حيث تشرف على طرابلس المملوكية الممتدة على نهر أبي على وطرابلس الميناء فى آن واحد . وهو مرقع رائع اختاره ريموند دى سان جيل لاقامة قاعدته العسكرية التى يشن منها هجومه المتواصل على طرابلس الميناء ، أو ليحاصر منها مدينة بنى عمار . وفى هذا المكان أقام حصنا تتحصن فيه قواته المعسكرة على التل ، وسخر سان جيل فى بنائها الأسرى المسلمين من أهل البلاد وكان من بينهم الشاعر الفارس سعدى الشيرازى . وفى سنة ١١٠٩ م تمكن خلفه برتران دى تولوز من التغلب على طرابلس بفضل مساعدة الأسطول الجنوى بقيادة أمير البحر وليم امبراسيو ومساهمة فرق صليبية من مملكة بيت المقدس .

وعندما سقطت طرابلس فى أيدى المماليك سنة ١٢٨٩ م اكتسحها سيل من التخريب والتدمير ، فلم يبق من قلعة سان جيل سوى أسسها القديمة وبوابتها الداخلية والأنصاف السفلى من معظم سورها الشرقى المطل على نهر أبى على ، بأبراجه ، وبقايا الكنيسة الصليبية فيها . وأصبحت القلعة مجرد خرائب وجدران دارسة . فلما شيدت مدينة طرابلس الجديدة فى المحلة اللاتينية ، لم يكن فى برنامج نواب السلطنة بطرابلس اقامة سور حولها اكتفاء ببقايا السور القديم ولوقوع طرابلس الجديدة بعيدة عن الغزو البحرى أدنى قلعة صنجيل ، وهنا أصبح من الضرورى ترميم القلعة التعسة واعادة بنائها حتى تكون حصنا يحمى المدينة من جهة الجنوب فى الوقت الذى تركزت فيه بقايا القوى الصليبية فى رودس وقبرص وأصبحت تؤلف خطراً متواصلا يتهدد سواحل الشام ومصر .

ويبدو أن مهمة تجديد بناء القلعة ألقيت على عاتق الأمير سيف الدين اسندمر كرجى المنصورى نائب السلطنة بطرابلس فيها بين عامى ٧٠٠ ، ٧٠٩ هـ (١٣٠١ — ١٣٠٩ م) فقد ذكر النويرى أنه عمر بين

ماعمره بطرابلس « بعض القلعة ، وأقام أبراجا » (١) واليه تنسب بوابة القلعة الحالية بعقدها الذى يتناوب فى سنجاته اللونان الأسود والأبيض على التعاقب ، كما ينسب اليه كثير من أسوارها وأبراجها وممراتها (٢) .

والمدخل على شكل مرفق يصل الى باب ثان ، يعلوه لوحة مسجل عليها بالخط النسخى منشور عسكرى صادر من السلطان الأشرف شعبان بن الناصر محمد بتاريخ ٧٤٦ هـ يتضمن بيانا بالميزانية الحربية . ويبدو أن جانبا كبيرا من القلعة قد تخرب فى عصر دولة المماليك الشراكسة ، فرممت سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢١ م) بأمر السلطان سليمان القانونى بعد زيارته للشام ، ثم عمرت بعض أجزاء منها بعد ذلك بقرن فى عهد يوسف باشا سيفا .

وبناء القلعة خليط من أساليب مختلفة منها الصليبى ومنها المملوكى ومنها العثمانى ، على أن الأجزاء الاسلامية يمكن تمييزها بسهولة عن الأجزاء المسيحية ، ونلاحظ أن أغلب أبراج الجانب الشرقى يرجع الى عصر الصليبيين وما زالت الحفائر تجرى بأرض القلعة لدراسة نظام بنائها دراسة علمية منظمة .

٢ — أبراج الميناء :

رأى نواب السلطنة بطرابلس فى عصر دولة المماليك البحرية ضرورة تحصين ميناء طرابلس وذلك باقامة أبراج ممتدة على ساحل شبه جزيرة الميناء ، لتأليف خط دفاعى قوى أمام أى اعتداء صليبى موجه من جزيرتى قبرص ورودس اللتين أصبحتا قاعدة للاسبتارية والداوية بعد تحرير الشام من بقايا الصليبيين فى عصر السلطان الأشرف خليل ، فان تحرير الشام نهائياً من الصليبيين لم يكن يعنى أن الفكرة الصليبية نفسها قد وئدت ، وأن منطقة الشرق الأدنى لم تعد ميدانا لحرب صليبية جديدة ، فقد ظلت فكرة الحروب الصليبية نحو قرن من الزمان بعد سقوط عكا آخر معقل صليبى فى الشام ، اذ أن البابوية ودعاتها لم ترض بالنهاية المؤلمة التى انتهت اليها الحروب

---

(١) نص النويرى عن سوبرنهايم ص ٤٧

(٢) Bruce Condé, op. cit. p. 22

الصليبية ، واعتبرت دولة المماليك فى مصر والشام السبب المباشر للكوارث التى لحقت بالصليبيين ، فحاولت البابوية أن تتدخل دينيا لدى الدول الأوربية لقطع كل علاقاتها التجارية مع دولة المماليك فى مصر حتى تقضى بذلك على أهم مواردها المالية ، فحرمت بيع أى شىء للعرب قابل لأن يكون أداة لتسليح المسلمين ، كالخشب ، والحديد ، وهما مادتان لازمتان لصناعة السفن وآلات الحرب (١) غير أن هذه المحاولات لم تلبث أن باءت بالفشل لأن الدول والجمهوريات الأوربية التى كانت تتعامل مع مصر لم تكن تستطيع الاستغناء عن حاصلات الشرق التى تأتى عن طريق واحد هو طريق دولة المماليك . ولم يكن هناك غير سبيل واحد هو الاغارة على شواطىء مصر والشام ، والترصد فى البحر للسفن التجارية الاسلامية . وشهد القرن الرابع عشر عدة إغارات عنيفة قامت بها الأساطيل الصليبية على موانىء مصر والشام(٢) .

وكان تحصين ميناء طرابلس الذى خربته عساكر قلاوون وسوت مبانيه بالأرض يعنى إنشاء مراكز دفاعية على الميناء على أبعاد متفاوته ، ولم تكن هذه المراكز تعدو أبراجاً حصينة مزودة بالجند والسلاح وآلات الحرب ، ولا نعرف على وجه الدقة تاريخ انشاء هذه الأبراج ، وكل ما نعرفه فى هذا السبيل أن طرابلس زودت بسبعة أبراج لم يبق منها فى الوقت الحاضر سوى آثار أربعة فقط . ويمكننا مع ذلك تحديد مواقع هذه الابراج السبعة على خريطة لطرابلس ، فقد كانت تمتد من مصب نهر أبى على شرقاً إلى رأس شبه جزيرة الميناء غربا . هذه الابراج هى كما يلى : برج الشيخ عفان وبرج السباع وبرج رأس النهر وبرج المغاربة وبرج السراية وبرج المشى وبرج أبى العدس ، ولم يبق من هذه الأبراج السبعة سوى أبراج السباع ورأس النهر والشيخ عفان والسراية .

---

(١) Heyd, Histoire du Commerce du Levant, t. II, Leipzing, 1885, p. 23-30

(٢) أنظر سعيد عاشور ، قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٥٤ نفس المؤلف ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٦٨ — ٧٥ كتابى عن تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦١ ص ٨٥

(١) برج السباع :

هو أهم هذه الأبراج جميعاً ، لأنه ما يزال يحتفظ بصورته الأولى ، كما أنه يعتبر من أجمل الأبنية الحربية التى وصلت الينا ، ويقع بين برج السراية وبرج رأس النهر . وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ بنائه ، فكان برشم يميل إلى جعل هذا التاريخ فى حدود سنة ١٤٠٠ م (٨٠٢ هـ) ، لأن عمارته وزخرفته يجمعان بين الحصانة والوثاقة التى تتجلى فى عمائر أسرة قلاوون ، وبين الرشاقة والأناقة التى تنعكس على آثار قايتباى ، وينسب بناء هذا البرج الى الأمير أيدمش نجاشى أحد ضباط الظاهر برقوق . ويعتمد فان برشم فيما ذهب اليه على نص لأبى المحاسن فى المنهل وآخر للسخاوى فى الضوء ، فالأول يقول : « وعمر بطرابلس برجا على ساحل البحر الملح لأجل المرابطين ووضع فيه جملة مستكثرة من السلاح ، ووقف عليه أوقافا » والثانى يقول : « وهو صاحب البرج الذى بطرابلس على ساحل البحر» (١).

ويرجح سوفاجيه نسبة برج السباع الى السلطان قايتباى لشبهه الكبير بقاعة استقبال السلطان قايتباى بأعلى قلعة حلب (سنة ١٤٧٥ م) (٢) . ويرى بروس كندى أن هذا البرج أقيم فى أواخر القرن الثالث عشر أو بداية الرابع عشر الميلادى ، ثم جدد فى أواخر القرن الخامس عشر فى أيام قايتباى لمواجهة أى غزو قد يقوم به العثمانيون (٣).

ويضيف الشيخ كامل البابا ، مؤرخ طرابلس الكبير ، أن هذا البرج بنى فيما بين عامى ١٤٤١ و١٤٤٢ م فى عهد الأمير جلبان نائب طرابلس ، وأنه وقف على مصالحه وعماراته والمرابطين فى البرج خمسة قرى منها : نصف قرية علما ونصف قرية كفرفو التابعة اليوم لزغرتا ، ونصف قرية بينو ، ونصف قرية الحصين من قضاء العلويين اليوم ، ونصف قرية القطين (٤).

---

(١) Van Berchem, op. cit. p. 122-124

(٢) J. Sauvaget, Notes sur les defenses de la marine de Tripoli, dans Bulletin de la musée de Beyrouth, Paris, Decembre 1938

(٣) Bruce Condé, op. cit. p. 137.

(٤) الشيخ كامل البابا ، من آثار التاريخ الطرابلس ، ص ٩

أما رأينا فيختلف عن هذه لآراء جميعا (باستثناء رأى كندى) فنعتقد من أسلوب بناء هذا البرج كما سنصفه فيما بعد ، أنه أقيم لأول مرة فى طليعة القرن الرابع عشر الميلادى ، ويؤيد ذلك التشابه الكبير بين بوابة البرج بعقدها وسنجاتها التى يتعاقب فيها اللونان الأبيض والأسود ، وبين بوابة قلعة صنجيل من جهة ، وبوابة مدرسة الخيرية حسن من جهة ثانية . وقد ذكرنا فيما سبق أن بوابة قلعة صنجيل أقيمت سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٧ م) وأن الذى أمر ببنائها هو الأمير اسندمر كرجى نائب طرابلس ، أما مدرسة الخيرية حسن ، فأقيمت هى الأخرى فى نفس هذا العام . كذلك نعتمد على نص ذكره سوبرنهايم نقلا عن النويرى جاء فيه « فوضت نيابة السلطنة الى الأمير سيف الدين اسندمر كرجى المنصورى ، فاستمر بها «أى طرابلس» الى سنة تسع وسبعمائة ، وعمر بها حماما عظيما أجمع التجار ممن يجوب البلاد أنه ماعمر مثله فى بلد من البلدان ، وعمر قيسارية وطاحونا .. وعمر أيضا بعض القلعة ، وأقام أبراجا » (١) .

كل ذلك يشير اشارة واضحة الى أن برج السباع من بناء اسندمر ، وليس من المعقول أن تظل منطقة الميناء بطرابلس بدون أبراج دفاعية حتى عصر قايتباى .

وننتقل الآن الى وصف البرج : فهو عبارة عن بناء ضخم مكعب الشكل على أساس مستطيل ٢٨,٥٠ × ٢٠,٥٠ م ؛ مبنى من الأحجار المسنمة بطريقة منسقة ، ويندمج فى سمك البناء أبدان من الأعمدة تظهر على سطح الجدران الخارجية بارزة بروزا طفيفا . ومدخل البرج فى الوجهة الغربية ، ونلاحظ أن البوابة بعقدها ومدخلها تبرز قليلا عن بقية جدار الواجهة (٢) ، وتتميز البوابة بعقدها المنكسر الذى يتناوب فى سنجاته اللونان الأبيض والأسود . ويمتد تناوب الألوان فى عضادتى العقد ثم يستمر فى داخل القطاع المستطيل المجوف للبوابة حتى فتحة الباب ، ويدور

---

(١) نص نويرى عن سوبرنهايم ص ٤٧

(٢) Sauvaget, op. cit. p. 4

حول السنجات الملونة افريز بارز ، يلتقى مع الطرة المستطيلة العليا عند منبتى العقد . ويعلو الاطار المستطيل فوق رأسى العقد مباشرة جوفة مستطيلة يبدو أنها كانت تحدد موضع اللوحة الانشائية : وقد ضاعت هذه اللوحة فى الوقت الحاضر . ويعلو الباب عتب كبير عبارة عن لوحة واحدة سميكة من الحجر يعلوها عقد مخفف للضغط سنجاته متعاشقة .

وهناك ظاهرة نلاحظها فى هذا البرج كما نلاحظها فى أبراج قلعة صنجيل وهى ميل الجدران فى الجزء الأدنى من السور نحو الخارج ميلا واضحا ، ولهذا الميل وظيفة نفعية فهو يدفع الأحجار المتساقطة من أعلى الشرفات البارزة فى عنف نحو الأعداء . ويعلو بوابة البرج قرب سور الممشى كوابيل كانت تدعم شرفات بارزة عددها خمسة . ومدخل البرج يؤدى الى قاعة واسعة يعلوها ست قبوات متعارضة ، تتكىء فى الوسط على دعيمتين مركزيتين تقعان فى نفس محور المدخل (١) ، ثم تتكىء فى الجوانب على دعائم ملتصقة بالجدران . وسقف القاعة قليل الارتفاع ، ونلاحظ أن جدار المدخل مزود على جانبى الباب بفتحتين صغيرتين . احداهما تنتهى بمنفذين للسهام ، الأيمن منحرف والأيسر معتدل ، والفتحة الثانية تؤدى الى منفذ واحد للسهام ، وجدار الفتحة القبلى محفور عليه شكل محراب . ونلاحظ أن الجدار الشمالى به أربع منافذ للسهام ، والجدار الشرقى به أربعة والجدار الجنوبى به ستة .

ويتوسط القاعة بين الدعيمتين فوهة بئر تتجمع فيه مياه الأمطار التى تصل اليه من السقف عن طريق قنوات فخارية بداخل البناء . وكانت هذه القاعة تزدان فيما مضى بحلية ملونة ، فان الافريز البارز الممتد مابين الباب والدعيمة المقابلة له، ما زال يحتفظ فى سنجاته بتناوب اللونين الأبيض والأسود. وعلى الجدار القبلى للقاعة رنك مملوكى بين زخارف هندسية وهو رنك الكأس ، وعلى الجدار الغربى الذى ينفتح فيه الباب خمسة رنوك تمثل الكأس بعضها مرسوم باللون الأسود والبعض بألوان أخرى .

---

(١) Ibid.

أما الدرج فيدور فى سمك جدار الواجهة الغربية ، ويؤدى الى الطابق العلوى ، ويذكرنا هذا البرج بالطريقة المتبعة فى سورية . ويتألف الطابق العلوى من قاعة أكثر تعقيدا من القاعة السفلية ، فهى فسيحة واسعة ، تنفتح فى جدرانها ثمان جوفات عميقة تعلوها قبوات نصف أسطوانية . وللبرج مسجد صغير به محراب ونافذتين ومنور علوى ، وخزانة لحفظ المصاحف .

وبرج السباع يعتبر من أهم الآثار الاسلامية بطرابلس ، وأجمل مثال لفن العمارة الحربية ، بما يتضمنه من عناصر معمارية وزخرفية متنوعة وموزعة جميعا فى ايقاع وتصميم متناسق .

٢ — **برج الشيخ عفان :**

يلى برج السباع من ناحية الغرب ، وقد جدد هذا البرج تجديد شوه معالمه الأثرية .

٣ — **برج السراية (أو الديوان) بالمينا :**

أدمج هذا البرج فى مجموعة أبنية حكومية خاصة بالدرك اللبنانى ، الا أن هذه الأبنية نسفت فى حوادث ثورة ١٩٥٨(١) ، فعاد البرج الى الظهور من جديد . وهو برج مربع الشكل يدعم جدرانه أبدان أعمدة مندمجة فى داخل البناء على النحو الذى شاهدناه فى برج السباع . ولم يتبق من هذا البرج سوى الطابق الأدنى ، وقاعته الداخلية تعلوها قبوات متعارضة تقوم على دعائم ملتصقة فى الجدران .

٤ — **برج رأس النهر :**

يقع على بعد ١٢٠٠ م شرقى برج السباع بالقرب من مصب نهر أبى على وهذا البرج أصغر حجما من برج السباع وأقل ارتفاعا منه ، اذ يتألف من طابق واحد ، وهو على شكل مربع طول ضلعه ١٦ م . ويختلف هذا البرج فى بنائه عن الأبراج الأخرى الواقعة على الساحل اللبنانى ، اذ يقوم فى

---

(١) Bruce Condé, op. cit. p. 143

أركانه الأربعة ركائز اسطوانية مندمجة فى البناء أشبه بأبراج صغيرة ملصقة بزوايا البرج الكبير ، على نحو ما نشاهده فى قلعة حصن الأكراد وبالذات فى قلعة قايتباى بالاسكندرية ، وجميع جدران البرج كسيت بحجارة سطوحها ناعمة ، ولكن هذه الكسوة الرقيقة انتزعت من أجزاء كثيرة من هذا البرج خاصة من الركائز الركنية ومن الواجهتين الجنوبية والشرقية .

ومدخل البرج باب منخفض صغير ينفتح فى الواجهة الجنوبية ، قد جرد تماما من عناصره الزخرفية ، ويتعاقب فى مداميك هذا الباب اللونان الأسود والأبيض ، ويؤدى هذا الباب الى قاعة تعلوها أربع قبوات متعارضة ترتكز عند تلاقيها على دعامة وسطى ، بينما ترتكز فى الجوانب الأخرى على الجدران ، وفى الجدار الجنوبى محراب صغير ، وفى داخل سمك الجدار الشرقى درج يؤدى الى سطح البرج (١) .

أما تاريخ بناء هذا البرج فيرجع فيما يظهر الى عصر السلطان الأشرف أبو النصر قايتباى وذلك للتشابه الكبير بين هذا البرج وبرج قايتباى الذى بناه بالاسكندرية ٨٨٢ هـ (٢) ويرجع سبب اهتمام الأشرف قايتباى بتحصين طرابلس وغيرها من ثغور الساحل الشامى والساحل المصرى (٣) الى اضطراب العلاقات بين دولة المماليك والدولة العثمانية (٤) لدرجة حدوث مصادمات مسلحة بين الطرفين ، وأغلب الظن أن قايتباى أسس هذا البرج عند زيارته لمدينة طرابلس سنة ٨٨٢ هـ ، فى رحلة المشهورة الى بلاد الشام وأطراف دولة المماليك .

---

(١) كان يعلو هذا البرج بأعلى الممشى شرفات ، على نحو ما نشاهده فى برج قايتباى .

(٢) أنظر كتابى تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ص ٩٢ — ٩٧

(٣) زود قايتباى الاسكندرية بطابية ، وأقام طابية أخرى فى رشيد فى نفس العام .

(٤) أحمد السيد دراج : حم سلطان والدبلوماسية الدولية ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ١٩٥٩ ص ٢٠٣ — تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ص ٩٧

(د) الحمامات :

لم يبق من بين الحمامات الكثيرة التى كانت تزخر بها طرابلس فى عصر المماليك سوى ثلاثة حمامات هى : حمام النورى وحمام الحاجب وحمام عز الدين .

أما الحمام النورى فيقع بالقرب من الجامع المنصورى الكبير ، ومازال هذا الحمام يؤدى وظيفته فى الوقت الحاضر . أقيم سنة ٧٣٣ ﻫ فى نفس الوقت الذى أسست فيه المدرسة النورية ، ويتكون هذا الحمام من غرف تعلوها قبوات وقبيبات تنفتح فيها مضاوى (أى فتحات صغيرة لادخال الضوء) مسدودة بقيعان القنانى الزجاجية الملونة ، فى إحكام صنعة وأجمل ترتيب ، وأكبر هذه الغرف ، الغرفة المعروفة بالبيت الساخن ، وتحيط بها مجموعة من المخادع الخاصة ، وتسمى الخلوات ، ومضاوى البيت الساخن تؤلف تكوينا زخرفيا رائعا ، يقوم على عقود نصف دائرية متقاطعة فيما بينها ، تحيط بأطراف القبة . ويشغل الفراغ المركزى زخرفة نجمية الشكل . وأغلب قبيبات هذا الحمام من النوع المفصص القائم على جوفات مقوسة فى أركانه .

وحمام عز الدين بناه الأمير عز الدين أيبك الموصلى سنة ٦٩٤ ﻫ وكان نائبا لطرابلس فيما بين عامى ٦٩٤ ﻫ ، ٦٩٨ ﻫ ، وهى سنة وفاته . وقد دفن هذا الأمير فى تربته التى أنشأها لصق حمامه . وما زالت نافذة هذه التربة تحمل نقشا تاريخيا يسجل تاريخ وفاته ونقش تحته رنك الأمير .

وقد استغل عز الدين أيبك بقايا كنيسة صليبية فى بناء حمامه ، فاستخدم نقوشها ورخامها وأحواضها لذلك الغرض . ومدخل الحمام ينفتح على الشارع بعقد مدبب ، على رأسه قطعة من افريز بارز مزدوج ، جوانبه تعبر عن أصله اللاتينى ، وعلى رأس العقد كتابة لاتينية نصها SCS JACOBUS وأغلب الظن أن هذا الجزء من البوابة من بقايا كنيسة سان جاك التى كانت تقوم فى نفس هذا المكان أو قريبا منه ، وفى نهاية البوابة ينفتح باب عقده نصف دائرى منكسر انكساراً طفيفا . وعلى عتب هذا العقد نحتت صورة « حمل فصحى » بين وردتين ويعلو هذه الصورة النقش الكتابى الآتى ECCE AGNUSDEI

ويتميز الحمام من الداخل بقبواته ذات المضاوى وغرفة الثلاثة المعروفة بالبرانى (وهى غرفة الثياب وتقع عادة بعد المدخل) ، والوسطانى (وهى الغرفة الدافئة وترتفع درجة حرارتها قليلا عن الغرفة السابقة) ، والحامى وهى البيت الساخن) .

أما حمام الحاجب فقد بناه الأمير سيف الدين اسندمر كرجى المنصورى سنة ٧٠١ ه بجوار المدرسة الزريقية . ويذكر النويرى أنه «عمر بها حماما عظيما أجمع التجار ممن يجوب البلاد أنه ما عمر مثله فى بلد من البلدان» وما زال هذا الحمام يؤدى وظيفته حتى اليوم منذ أكثر من ٦٥٠ سنة مضت (١) وعلى عكس ما يزعمه مؤلفو كتاب اليونسكو من أن هذا الحمام قد اندثر ولم يتبق منه الا بقايا قليلة (٢) ، فان هذا الحمام يعتبر أول الحمامات الثلاثة من حيث احتفاظه بعناصره المعمارية . فهو يشتمل على أكثر من ١٢ قبيبة وكلها مخرمة بمضاوى مزججة سليمة ، لاأثر فيها لهدم أو لتشويه ، وتتدرج فى تخطيطه الغرفة الباردة فالدافئة فالساخنة ، بينما تتوزع حولها الخلوات الخاصة .

(ه) الخانات والأسواق :

يحتل المركز العمرانى الاقتصادى قلب مدينة طرابلس ، ويتمثل هذا المركز فى الخانات والأسواق . أما الخانات فكانت تقع عادة بجوار الحمامات والأسواق ، وأهمهاخان المنزل وخان الخياطين وخان المصريين وخان العسكر .

ويعتبر خان المنزل أجمل خانات طرابلس وأهمها ، فقد بناه الأمير سيف الدين اسندمر كرجى المنصورى فيما سبق سنتى ٧٠٠ ، ٧٠٩ ه ، وواجهة هذا الخان غريبة الشكل ، اذ يحف بباطن عقد البوابة المنكسر قطاعات مثلثة الأطراف تؤلف نوعا من الدالات المتصلة البارزة ، وتعتبر

---

(١) Bruce Condé op. cit.p. 120

(٢) تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان ص ١٥

هذه الزخرفة تطورا لزخرفة الدالات الشائعة فى زخرفة بوابات المساجد والمدارس بطرابلس . ويحتل طبلة العقد جامة كبيرة حفرت فيها توريقات كثيفة ، أما الظاهرة الغريبة فى هذا الخان فهى أن عقود نوافذها مفصصة بفصوص من زهرة الزنبق ، تمثل تطورا فريدا فى تاريخ عمارة المماليك ، ويعلو الواجهة افريز بارز يزدان بصف من المقرنصات الزخرفية المسطحة على شكل ورقة نبات متكررة .

أما خان الخياطين فقد بناه الأمير بدر الدين قبل سنة ٧٤٠ هـ ، وتتصل ،ارته بعمارة حمام عز الدين وخان المصريين ، وتؤلف جميعا جانبا هاما ن المدينة التجارية . وخان الخياطين أشبه بدرب مقفل طوله نحو خمسين ترا . ويتميز بوجود صفين من العقود الجانبية ، ويقطع الدرب من أعلى شرة عقود عرضية أشبه بالقناطر ، ولا يغطى هذه العقود سقف ، وفى ذا الخان الذى يقوم فى نفس الوقت بوظيفة المصنع والسوق ، كانت باك الثياب وتباع بالجملة على التجار (١) لتوزيعها . أما خان المصرين لذى ما يزال يستخدم حتى اليوم مخزنا ، فقد أقيم فيما بين عامى ٧٠٩ هـ ٧٥ هـ . وتدور غرفه حول صحن مركزى مستطيل الشكل ، ويعلو الغرف ،وات نصف أسطوانية عمودية على الصحن .

وخان العسكر يرجع تاريخ بنائه الى أواخر عصر دولة المماليك البحرية ، وقد استخدمه المماليك ثكنة عسكرية فسمى بذلك الاسم . ويتكون الخان من مجموعتين من البناء تدور كل منهما حول صحن مستطيل بداخله حوض لسقاية ، وينفتح على الصحن أبواب معقودة ، عقودها منكسرة من النوع لشائع فى عمارة المماليك . وأهم العناصر المعمارية بالخان بواباته بعقودها المدببة ات السنجات الزنبقية .

وأهم أسواق طرابلس المملوكية سوق الحراج ، ويقع الى الجنوب شرقى من شارع الصاغة ، وهو سوق تعلوها قبوات متعارضة ترتكز على

(١) Bruce Condé, op. cit. p. 87

١٤ عمودا جرانيتية ضخمة ، لاتيجان لها ، ويرجع بعض المؤرخين تاريخ بناء هذا السوق الى عصر المماليك ، بينما ينسبه الآخرون الى العصر الصليبي . ويغلب على الظن أن هذا السوق أقيم فى مكان كانت تشغله كنيسة ، واستخدمت بعض أعمدتها وعقودها فى اقامة هذا السوق .

* * *

وبعد فهذه الدراسة موجزه عن تاريخ وآثارمدينة طرابلس ، قلعة العروبة فى الشام ، وصرحها المنيع ، وهذه الدراسة أقرب الى أن تكون تعريفا بالمدينة والدور الذى لعبته فى العصر الاسلامى ، والصلات التاريخية والفنية الوثيقة التى تربطها بمصر ، منذ أن حررتها الجيوش المصرية بقيادة الملك المنصور قلاوون . وشخصية المدينة المملوكية تنطبع فى شوارعها الضيقة وأزقتها المتعرجة التى تعلوها الأقواس والحنايا ، وفى قباب المدينة ومآذنها الرشيقة ، وفى أسواقها وخاناتها وحماماتها التى ما تزال تقوم بوظائفها حتى اليوم .

المراجع

١ – المراجع العربية القديمة

١ – ابن الأثير (على بن أحمد) : الكامل فى التاريخ ، ١٢ ج ، بولاق ١٢٩٠ هـ .

٢ – ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد) الرحلة، طبعة بيروت ١٩٦٠

٣ – ابن تغرى بردى (أبو المحاسن) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٧ طبعة القاهرة ١٩٣٨

٤ – ابن شاهين الظاهرى (غرس الدين خليل) : زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، بول رافيس باريس ١٨٩٤

٥ – ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة) : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨

٦ – ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج ٣ نشره الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠

٧ – أبو الفدا (اسماعيل بن على عماد الدين) : المختصر فى أخبار البشر ، القسطنطينية ١٢٨٦ هـ

٨ – أبو شامة (عبد الرحمن بن اسماعيل) : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين طبعة مصر ١٢٨٨ هـ

٩ – الأصطخرى (أبو اسحق فارس) : مسالك الممالك ، ليدن ١٩٢٧

١٠ – الاصفهانى (عماد الدين) : كتاب الفتح القسى فى الفتح القدسى ، نشره كارلو دى لاندبرج تحت عنوان "Conquête de la Syrie et de la Palestine" ليدن ١٨٨٨

١١ – البلاذرى (أحمد يحيى) : فتوح البلدان ، القسم الأول نشره الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦

١٢ – المقدسى (شمس الدين أبى عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦

١٣ – اليعقوبى (أحمد أبى يعقوب بن جعفر) : كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١

١٤ – صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ، نشره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٨٩٨

١٥ – ناصر خسرو علوى : سفرنامة ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥

٢ – المراجع العربية الحديثة

١٦ – البابا (الشيخ كامل) : من آثار التاريخ الطرابلسى ، حديث بمجلة الارشاد الاجتماعى العدد ٢٧ ، طرابلس ١٩٦٢

١٧ — ابراهيم أحمد العدوى (دكتور) : الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ، القاهرة ١٩٥٨

١٨ — البستانى : دائرة معارف البستانى ، مادة طرابلس .

١٩ — حسن أحمد محمود (دكتور) : مصر فى عصر الطولونيين ، القاهرة ١٩٦٠

٢٠ — دراج (دكتور أحمد) : جم سلطان والدبلوماسية الدولية ، مجلة الجمعية التاريخية المصرية ١٩٥٩

٢١ — سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : بعض التأثيرات الأندلسية فى العمارة المصرية الاسلامية ، المجلة العدد ١٢ ديسمبر ١٩٥٧

٢٢ — ... ... : المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها ، القاهرة ١٩٥٩

٢٣ — ... ... : تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦١

٢٤ — الشيال (دكتور جمال الدين) وحدة مصر وسورية فى العصر الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٥٨

٢٥ — عاشور (دكتور سعيد عبد الفتاح) : قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧

٢٦ — ... ... : مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩

٢٧ — فيليب حتى (دكتور) لبنان فى التاريخ ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة والدكتور نقولا زيادة ، بيروت ١٩٥٩

٢٨ — ... ... : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين فى جزأين ، ترجمة الدكتور جورج حداد ، بيروت ١٩٥٨

٢٩ — كرد على (الأستاذ محمد) : خطط الشام ، ج ٦ ، دمشق ١٩٢٨

٣ — المراجع الأوربية القديمة والحديثة

٣٠ — بنيامين التطيلى ، رحلة بنيامين التطيلى ١١٦٠ — ١١٧٣ ، نشرها اجناثيو جنثالث مدريد ١٩١٨

30. *Viajes de Benjamin de Tudela,* Traducidos por Ignacio Gonzalez L Liubera, Madrid, 1918.

٣١ — بهل (ف) : دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طرابلس

31. **Buhl (fr.)** : Encyclopedia of Islam, Art. Tarabuls.

٣٢ — كندى (بروس) : طرابلس لبنان ، بيروت ١٩٦١

32. **Conde (Bruce)** : Tripoli of Lebanon, Beirut, 1961

٣٣ — هايد : تاريخ تجارة الشرق ، ح ٢ ، ليبزج ١٨٨٥

33. **Heyd** : Histoire du Commerce du Levant, t. II, Leipzig 1885.

٣٤ – تقرير بعثة اليونسكو الى لبنان . عضوية الأساتذة بول كوبار ، والأمير موريس شهاب وأرماندو دبلون ، اليونسكو ، بارس ١٩٥٤

34. *Rapport de la mission envoyée par l'Unesco en* 1953 *au Liban*, membres . Mrs. **Paul Collart, Emir Maurice Chehab et Armando Dillon,** publié sous le titre; Liban, aménagement de le ville de Tripoli et du site de Baalbek, Paris 1954.

٣٥ – سوفاجيه (جان) . ملاحظات عن الدفاع عن مينا طرابلس فى مجلة متحف بيروت ، باريس ١٩٣٨

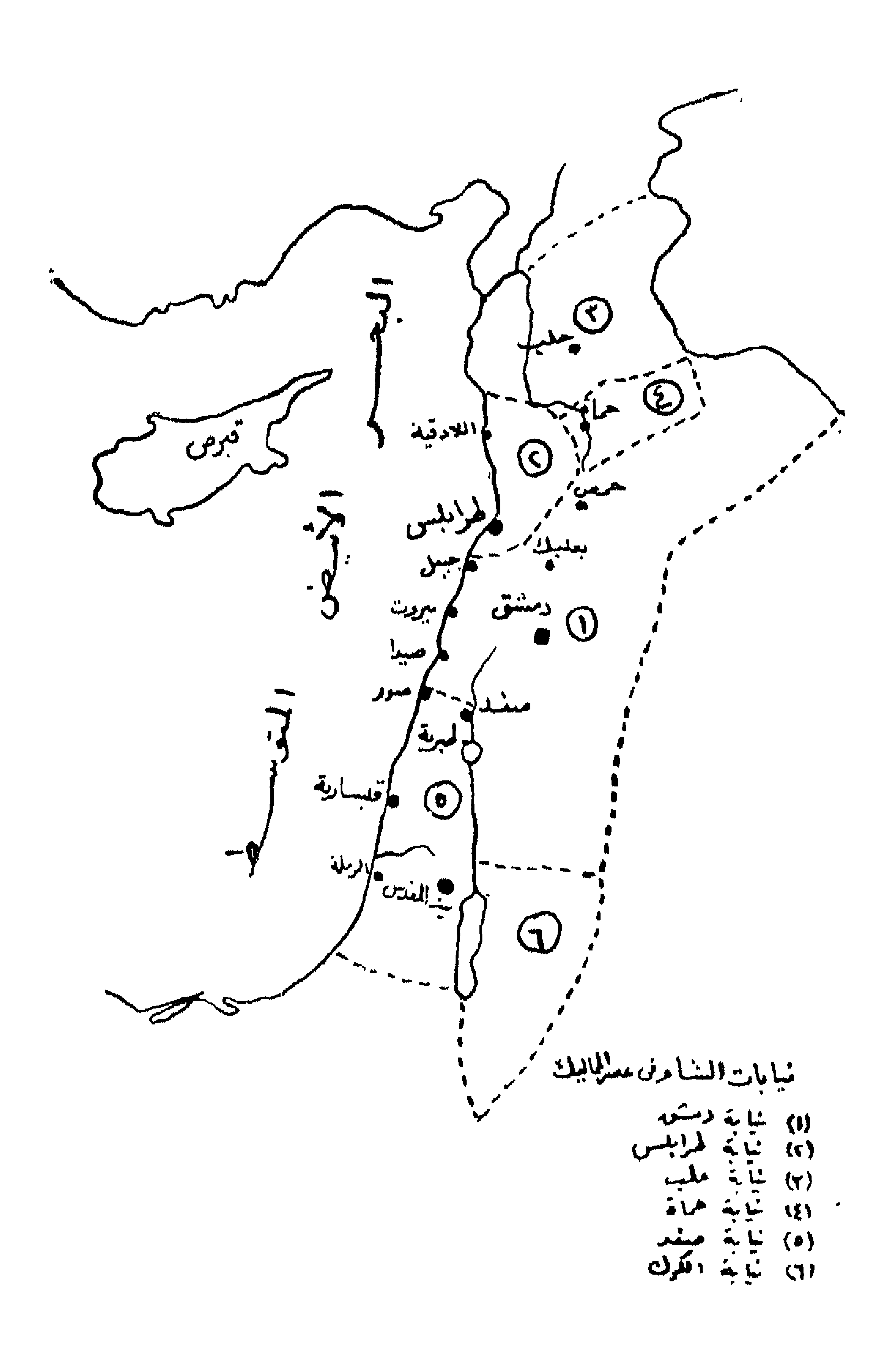
35. **Sauvaget (J.)** : Notes sur les defenses de la marine de Tripoli, dans, **Bulletin** de la musée de Beyrouth, Paris, Décembre 1938

٣٦ – سوبرنهايم (موريتز) . النقوش العربية فى سورية الشمالية ، فى معجم الكتابات العربية ج ٢٥ ، ١٩٠٩

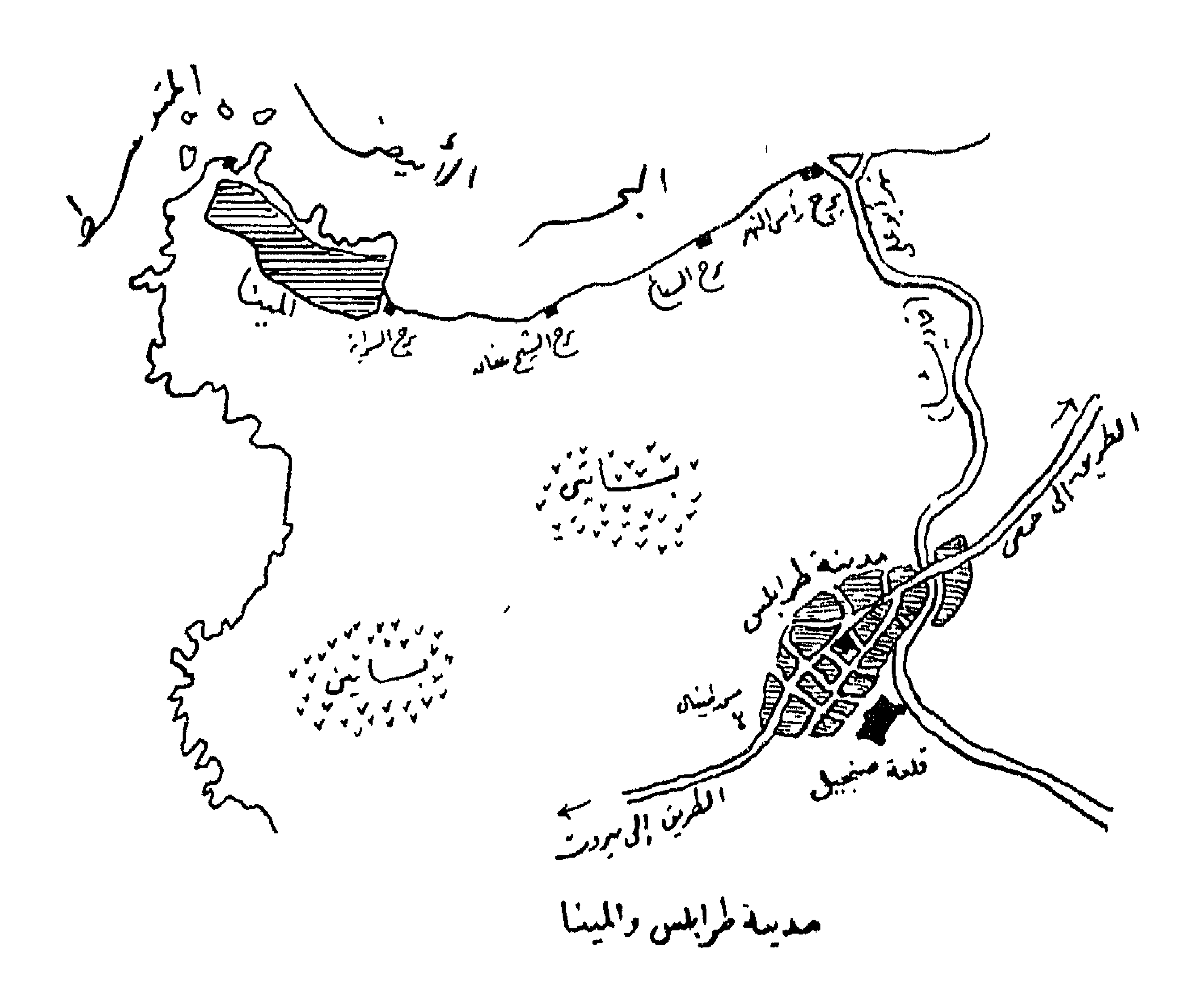
36. **Sobernheim (Moritz)** : Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, 1909.

٣٧ – فان برشم (ماكس) ، وفاتيو (أدمون) : رحلة الى سورية نشرت فى مذكرات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ، عدد ٣٧ ، القاهرة ١٩١٤

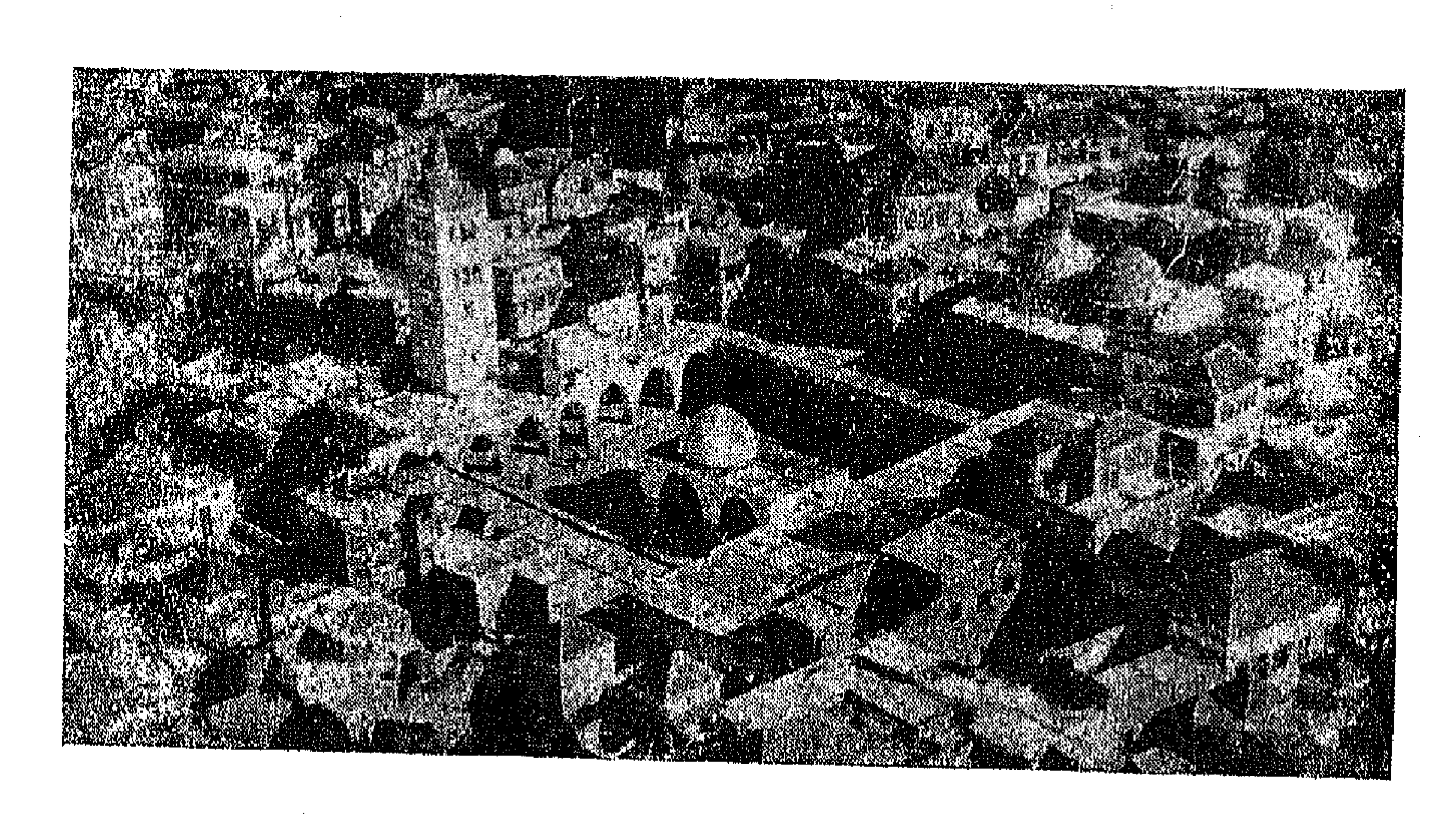
37. **Van Berchem (M.) & Fatio (E.)** : Voyage en Syrie, dans Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orintale du Caire, t. 37 le Caire, 1914.



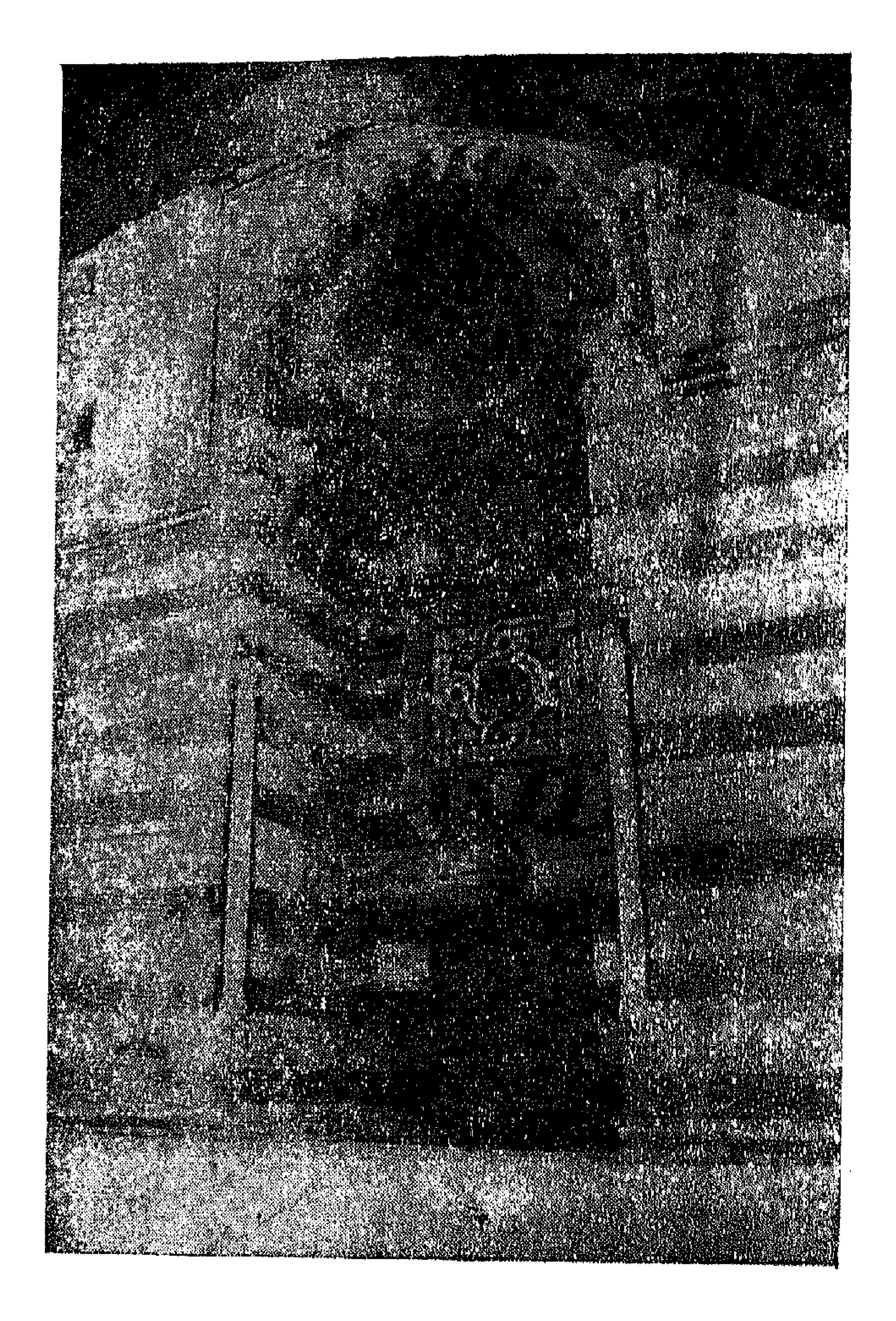
البحر الأبيض المتوسط
قبرص
حلب
حماة
اللاذقية
حمص
طرابلس
بعلبك
جبل
بيروت
دمشق
صيدا
صور
صفد
طبرية
قيسارية
الرملة
بيت المقدس
١
٢
٣
٤
٥
٦
نيابات الشام في عصر المماليك
(١) نيابة دمشق
(٢) نيابة طرابلس
(٣) نيابة حلب
(٤) نيابة حماة
(٥) نيابة صفد
(٦) نيابة الكرك



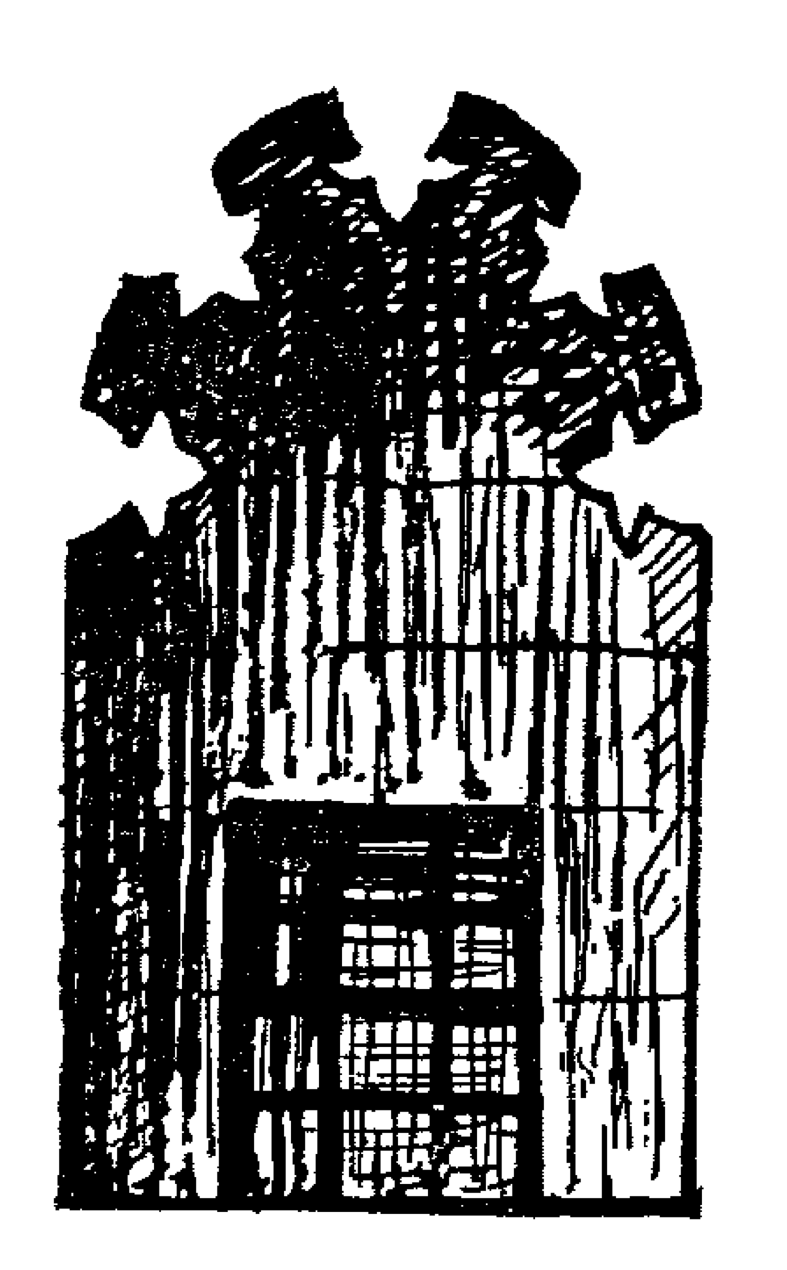
مدينة طرابلس والميناء



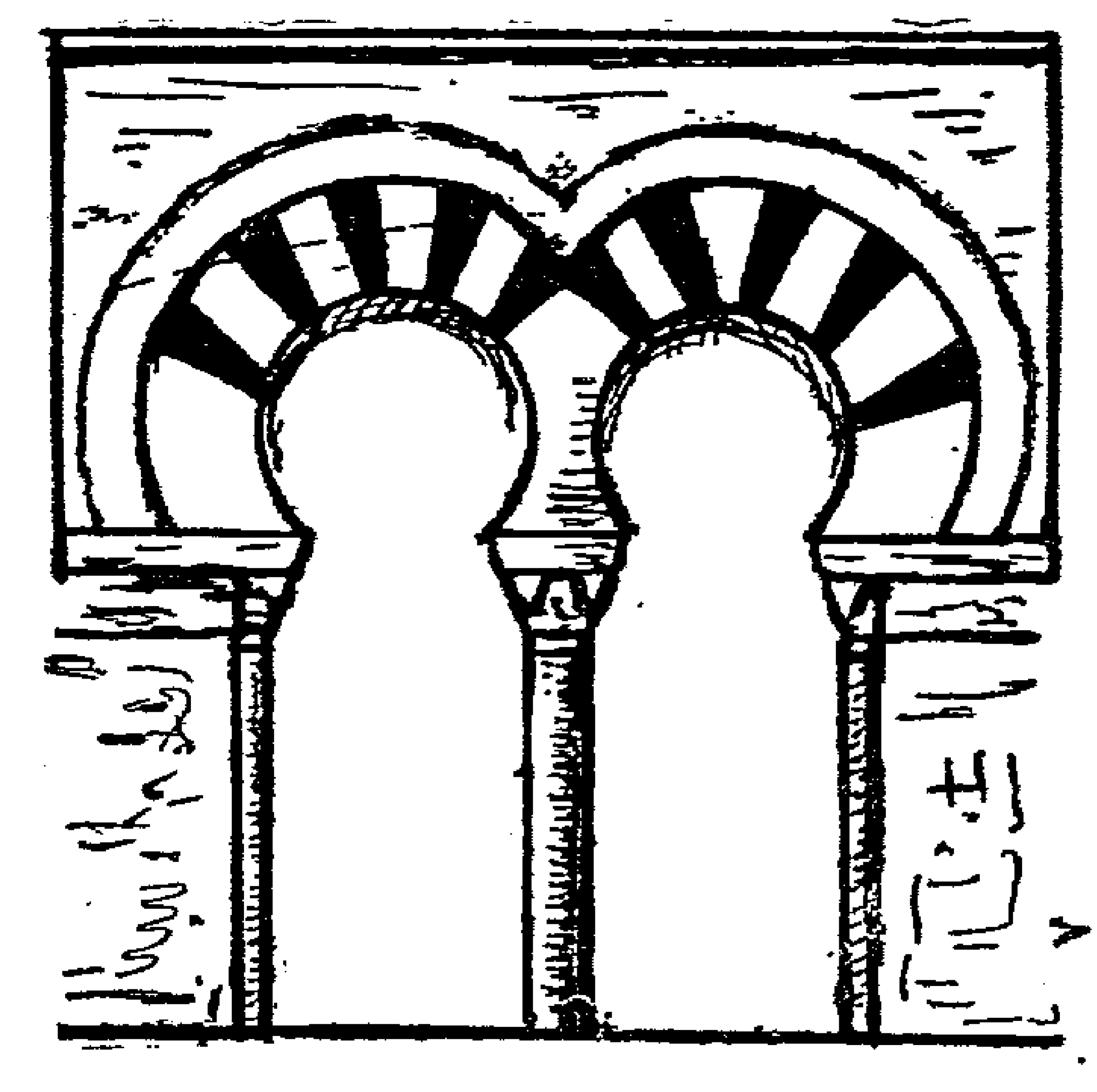
الجامع الكبير بطرابلس وترى المئذنة فى الجهة الشمالية



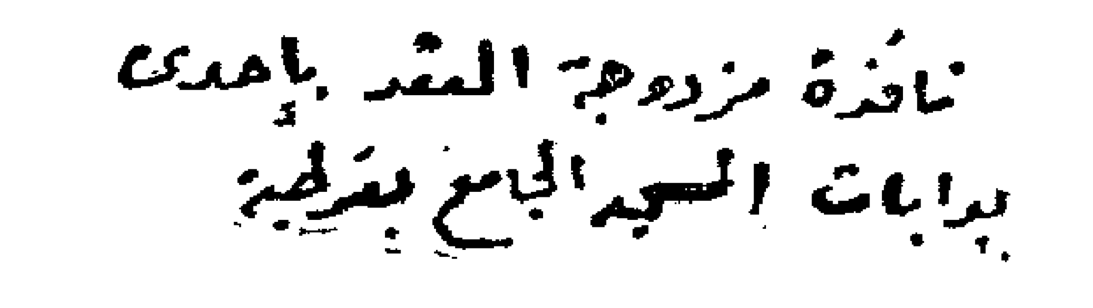
واجهة المدخل بالمدرسة القرطائية



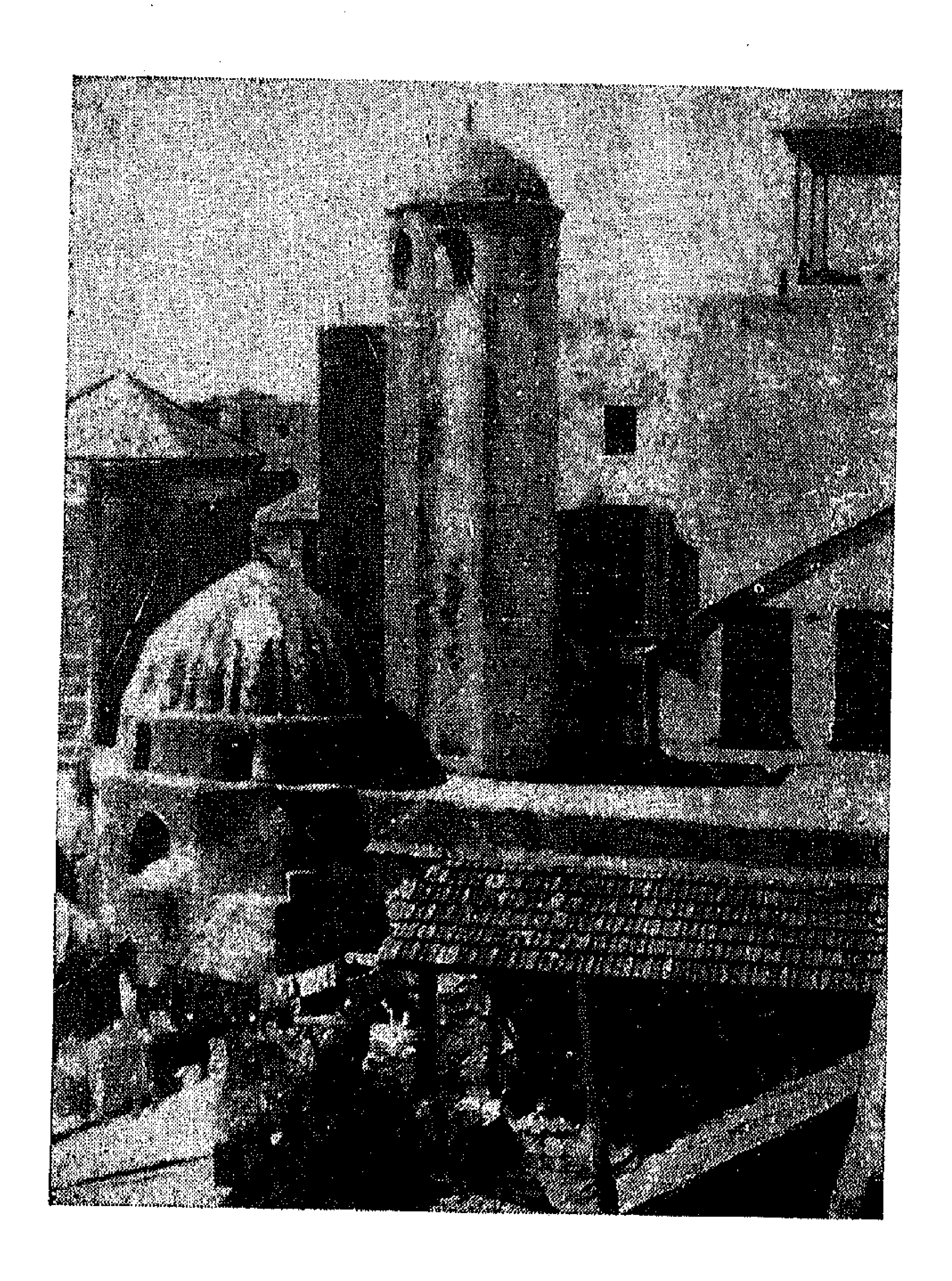
نافذة بحائط المنزل



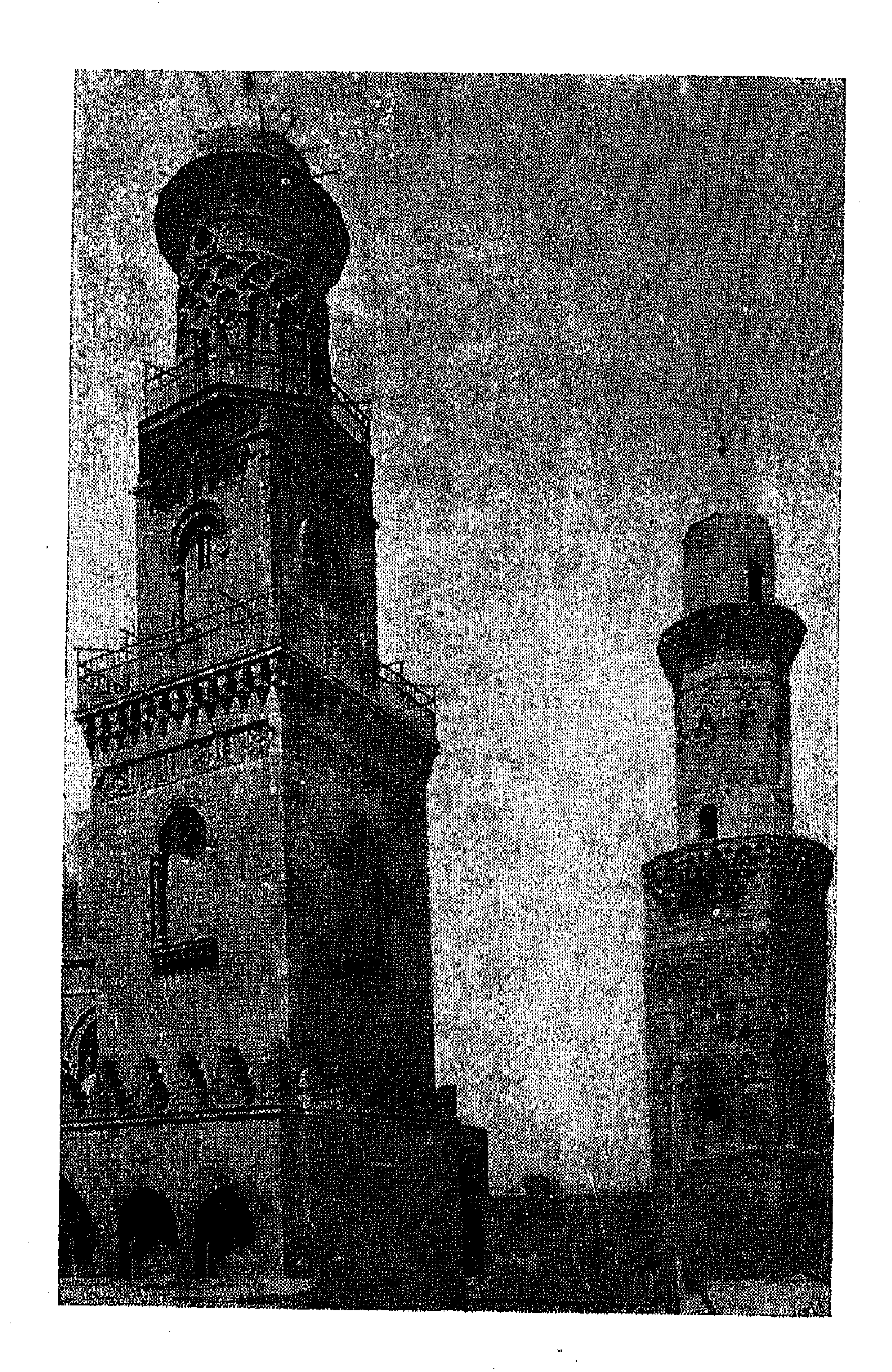
نافذة مزدوجة العقد بإحدى
بوابات المسجد الجامع بقرطبة



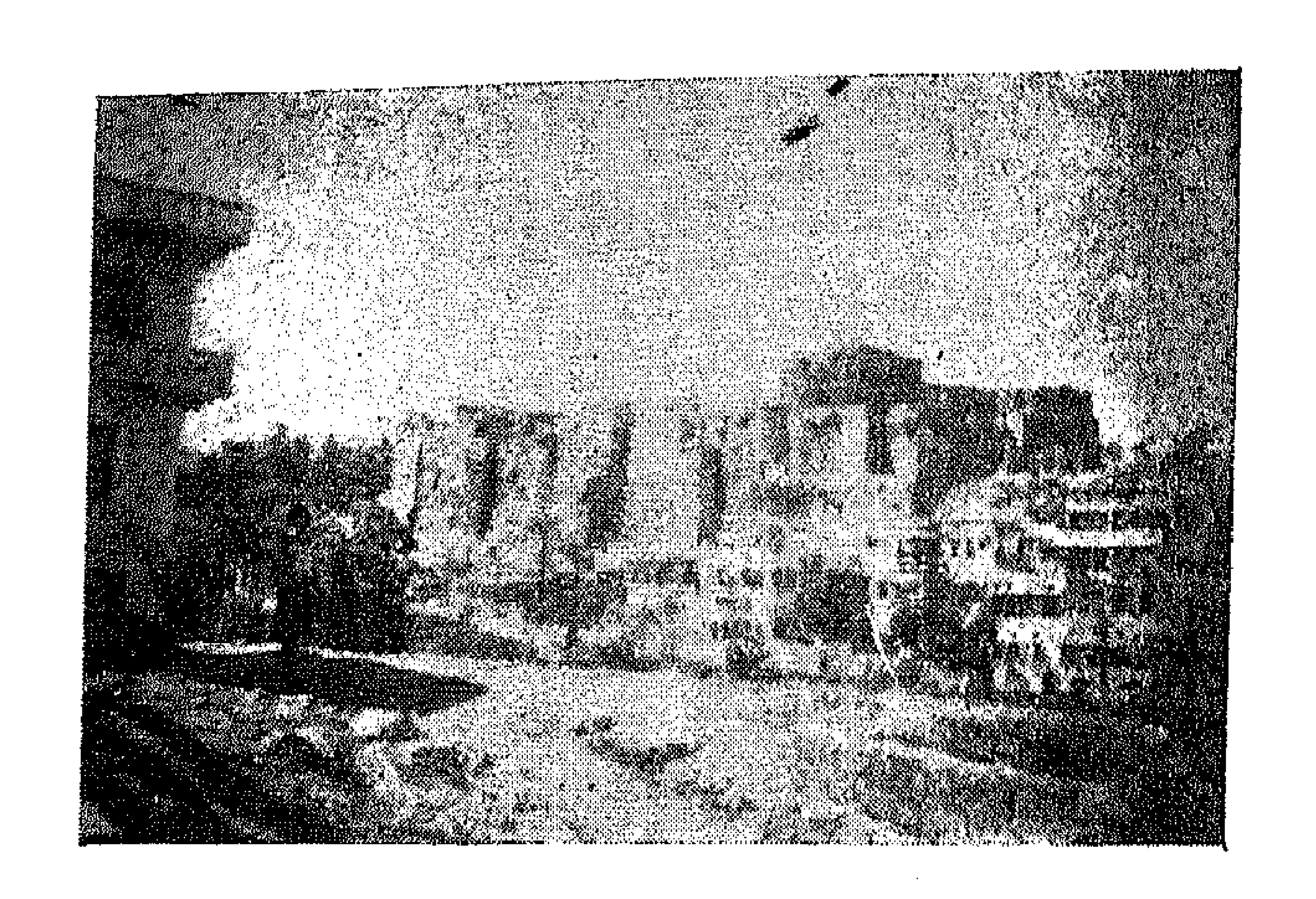
نافذة مزدوجة العقد
بالمدرسة البرطاسية



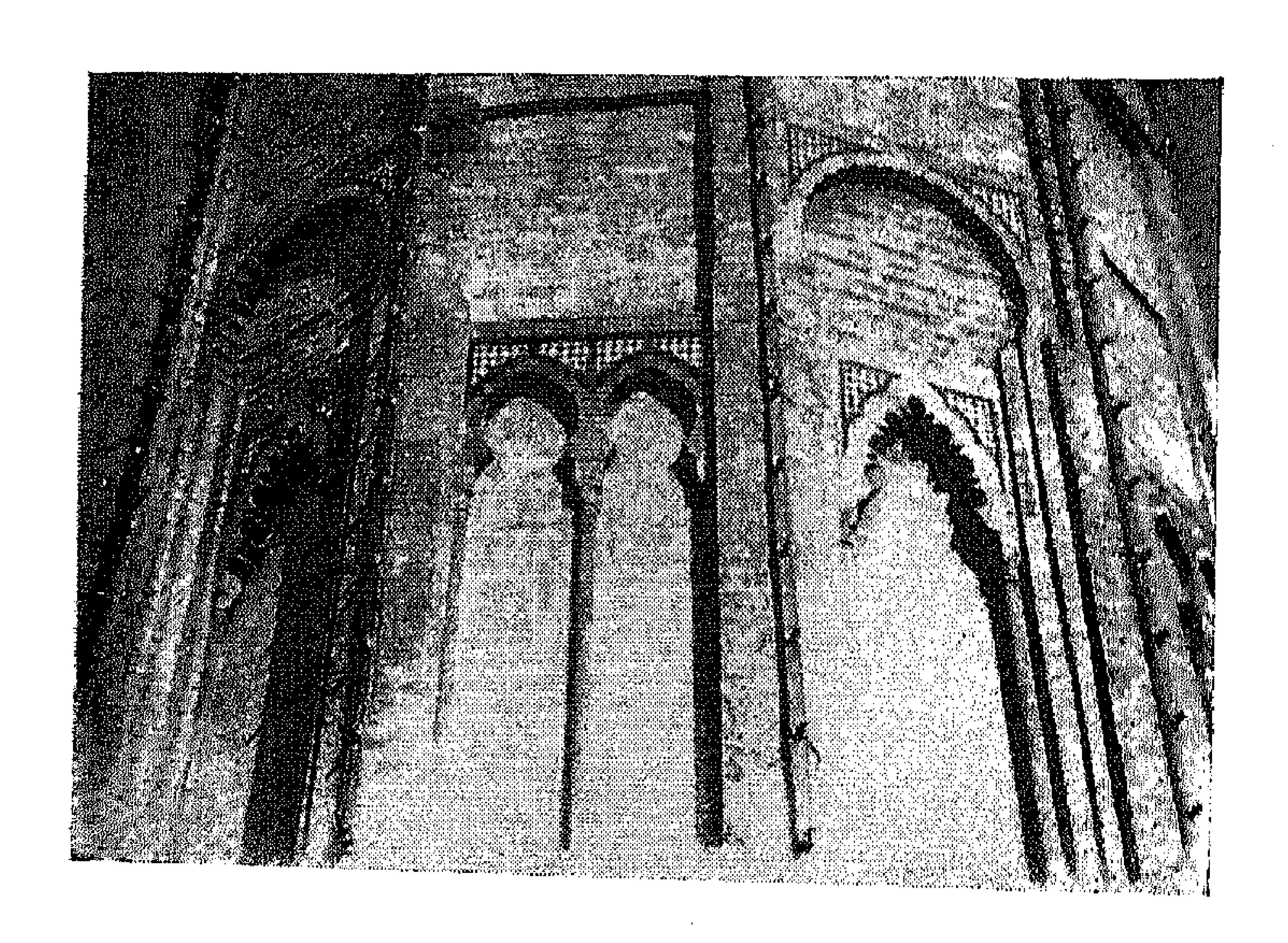
مسجد عبد الواحد المكناسي.



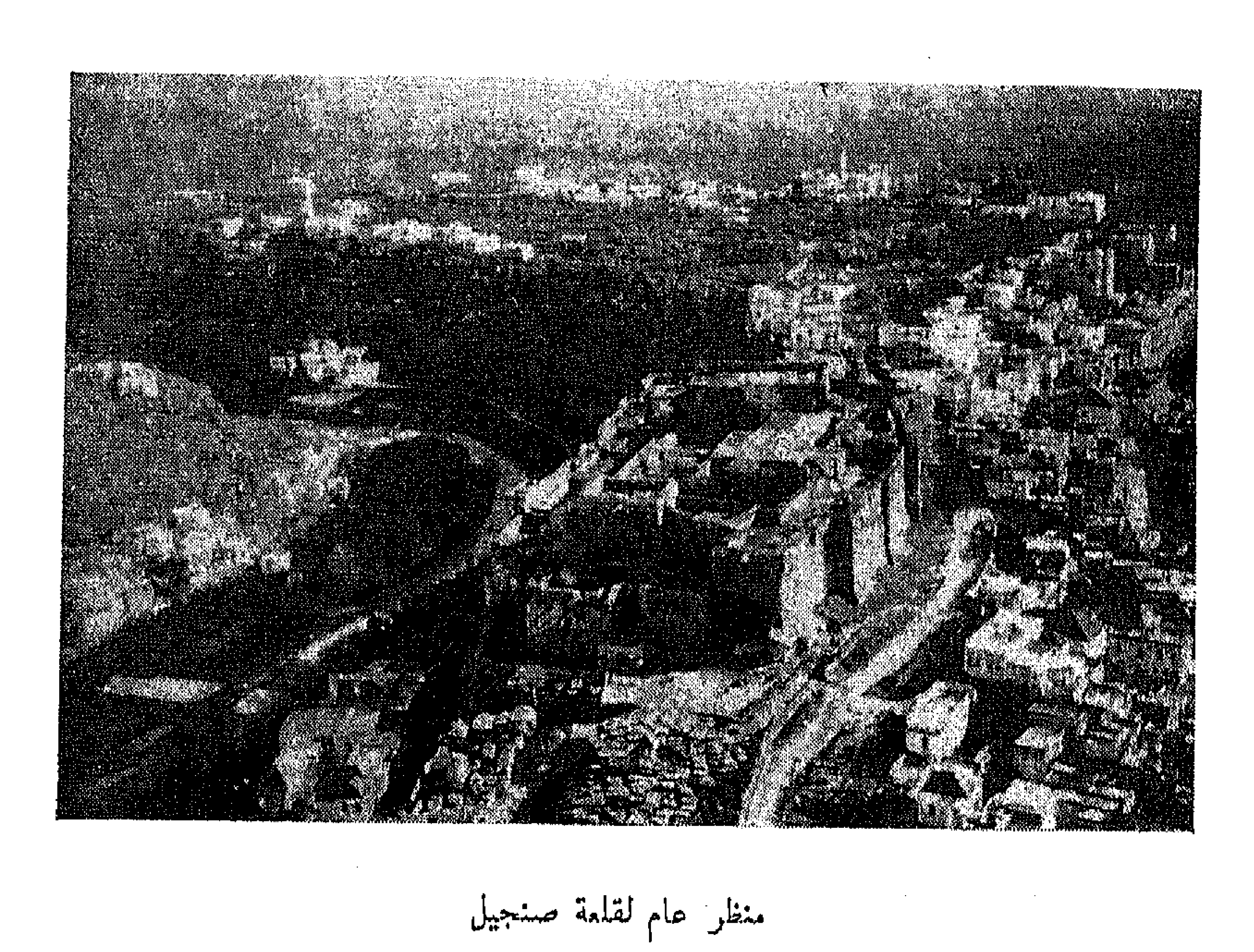
مئذنة المنصور قلاوون وبجوارها مئذنة الناصر محمد بالنحاسين



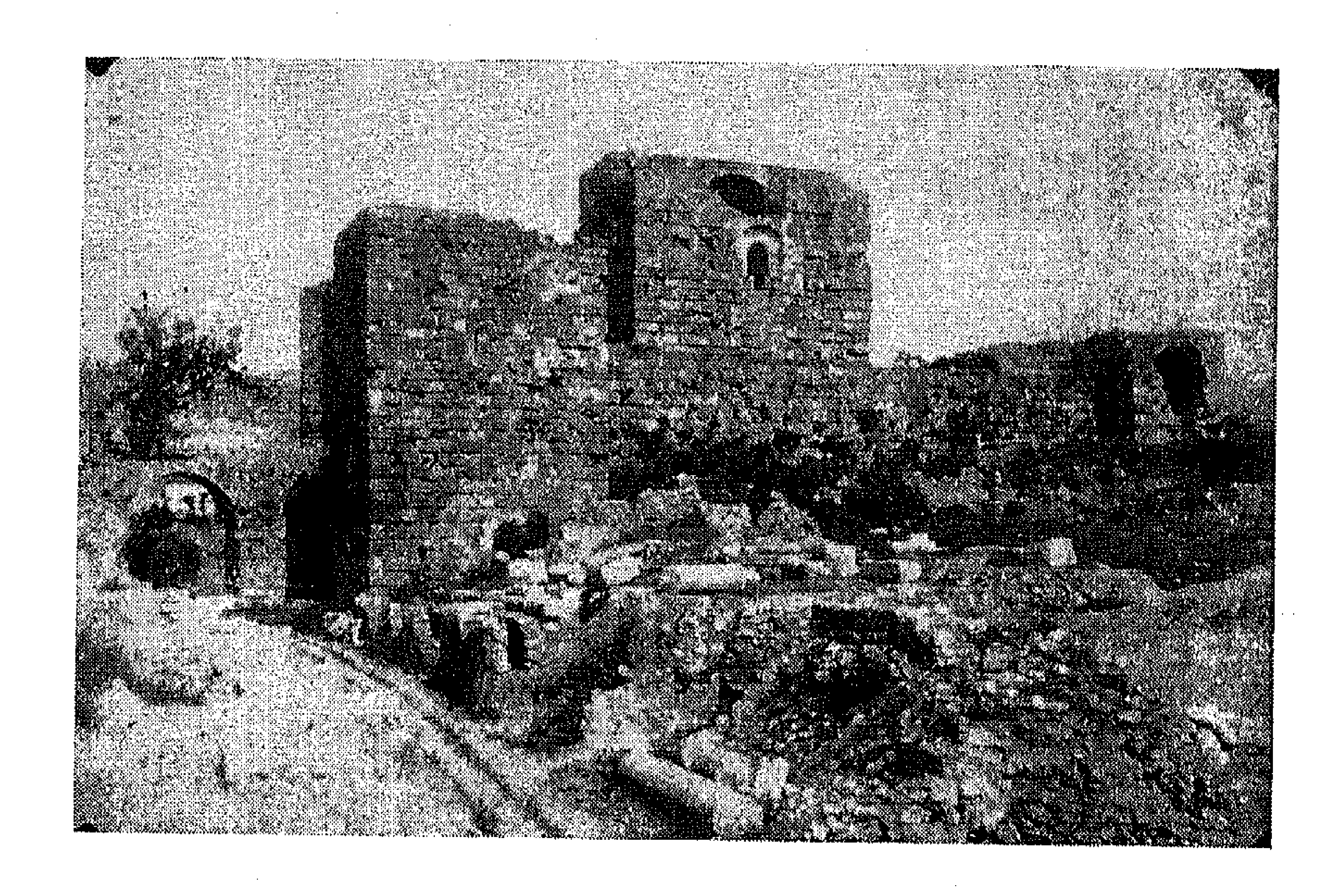
قلعة صنجيل بطرابلس



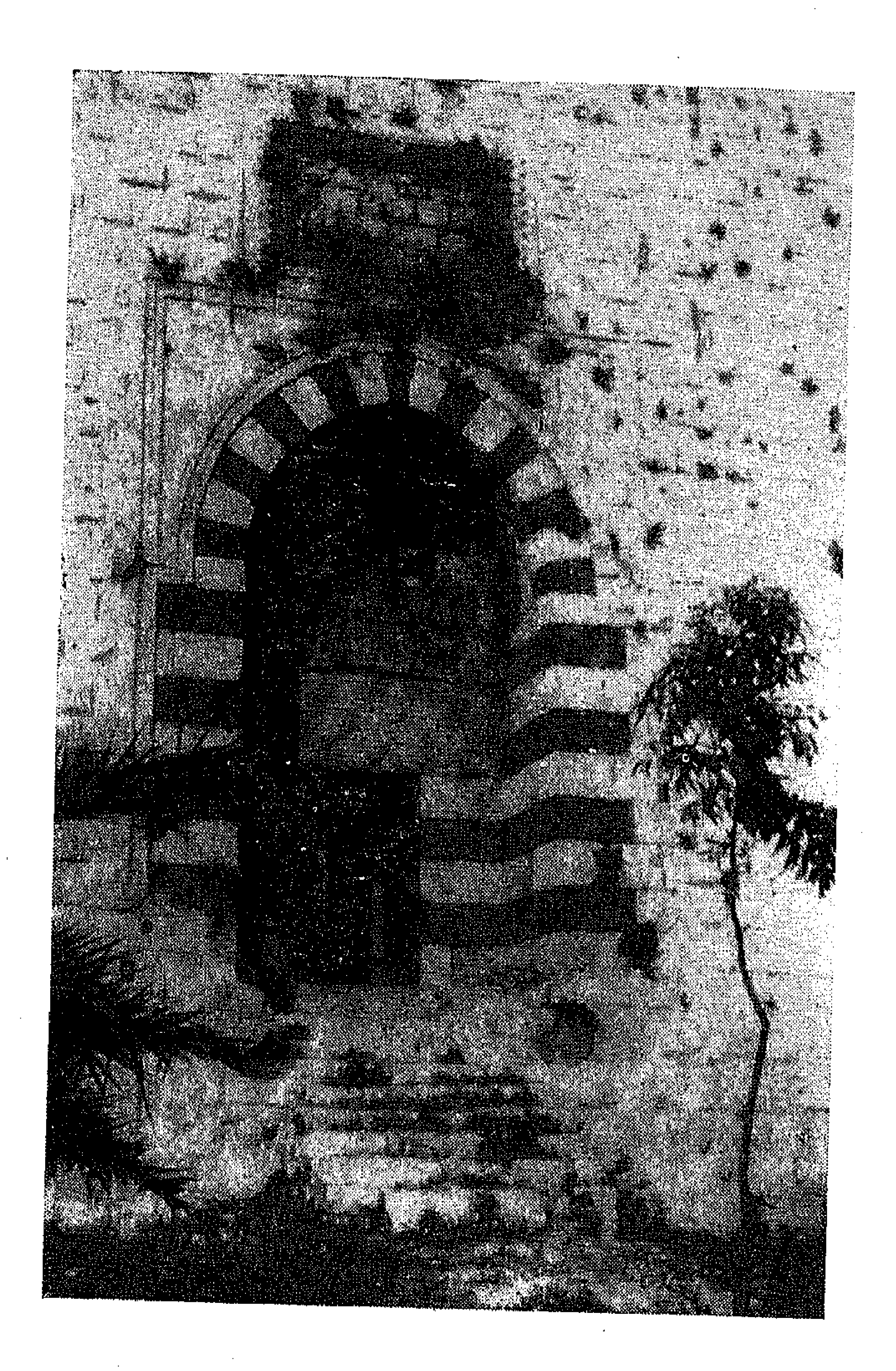
اشبيلية : برج الذهب (من عصر الموحدين)
وترى العقود المتجاوزة المنكسرة والعقود المفصصة



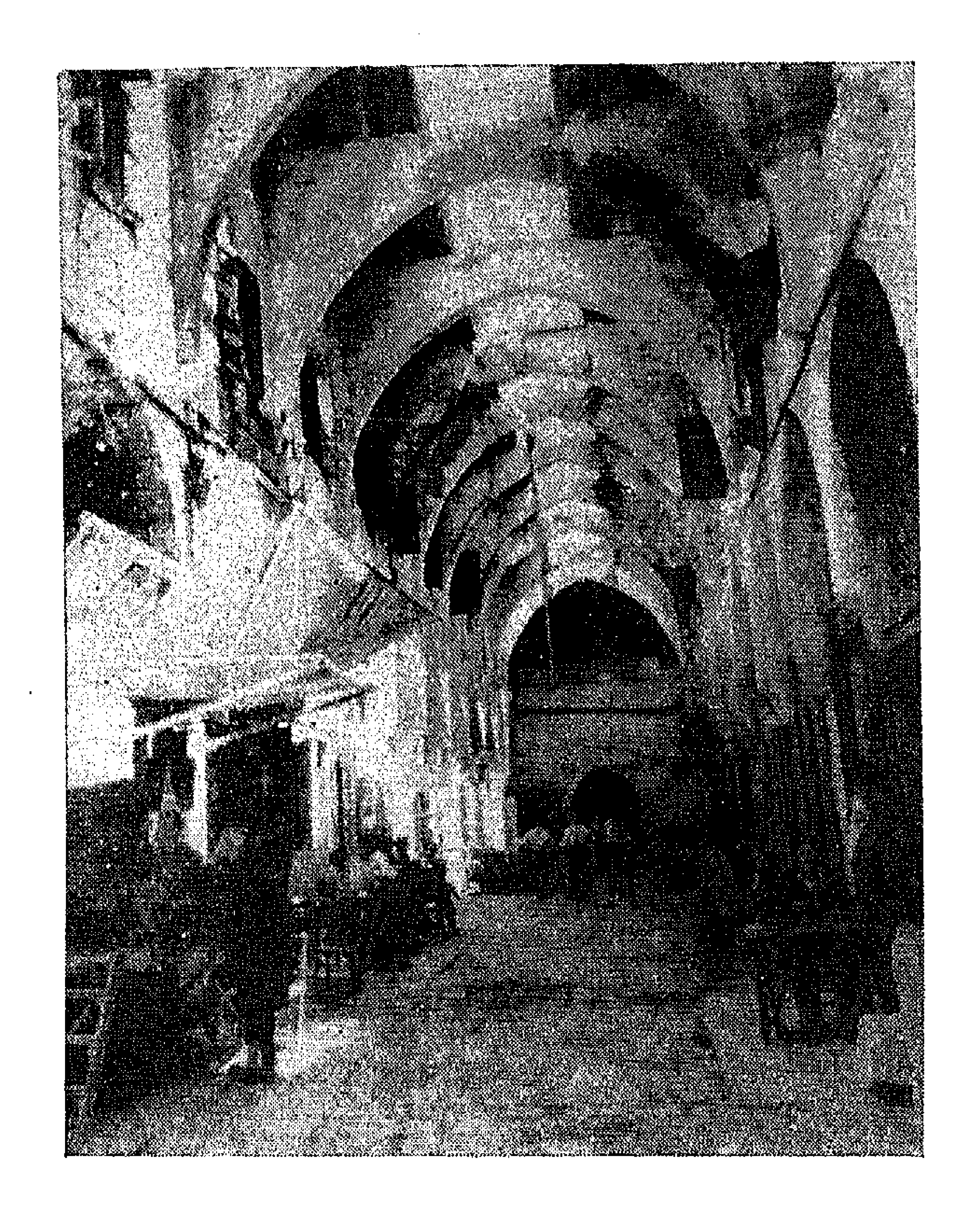
منظر عام لقلعة صنجيل



قلعة جبيل



برج السباع : واجهة المدخل



خان الخياطين

(مطبعة جامعة الاسكندرية ٣١٧/٦٢/٥٠)

